روايات عبير

لوسي كين

الحب وخداع المظاهر

منتديات ليلاس الثقافية

www.liilas.com

٢١٦

مكتبة مدبولي الصغير

روايات عبير

«ABIR» - No. 216

الحب وخداع المظاهر

منتديات ليلاس الثقافية

قررت سوزى الفتاة الجميلة الوديعة أن تغادر لندن مع صديقتها كاترينا لقضاء الأجازة فى الأردن، لمشاهدة المدينة التاريخية «بيترا»؛ فجأة تتركها صديقتها لتنضم لصديقها المليونير الأمريكى !!

بين أطلال بيترا قابلته متنكرا فى الزى العربى كما لو كان لورانس العرب، وبدأت حكايتها معه، ناتان ليارد مهندس الكمبيوتر المرح الفقير، وأحبته، وفجأة تكتشف أنه مليونير!!

www.liilas.com

هل تلتقى الرومانسية وتتعايش مع عالم الثروات، هذا ما تجيب عنه أحداث الرواية !!

لبنان	١٩,٢٠ ل.ل	الكويت	١,٥٠٠ د	اليمن	٦,٤٠ ر	السودان	١,٢٨٠ م
سورية	١٩,٢٠ ل.س	الامارات	١٩,٢٠ د	تونس	٢,٤٠ د		
الأردن	١,٢٨٠ ف	البحرين	٢,٤٠ د	ليبيا	١,٦٠ د	U.K.	£ 2,40
العراق	٨٠٠ ف	قطر	١٩,٢٠ ر	المغرب	٨ د	France	F 16
						Greece	Drs 320

لوسي كين

الحب وخداع المظاهر

منتديات ليلاس الثقافية
www.liilas.com

الفصـــل الأول

المرشـــد المـــزيف

منتديات ليلاس الثقافيه

إتسعت عيناها رعبا ؛ وتلطخ خدها بالتراب ، عندما ترنحت وكادت أن تسقط من فوق الممر الصخرى قليل الإرتفاع وإنحرفت إلى الطريق القذر وسط المدينة الصخرية القديمة . بالتأكيد هناك على الأقل سائح أوروبى واحد يمكنها طلب عونه .

إستعادت حديثها مع كاترينا منذ أسابيع قليلة ، وكأنها تستحضره أمامها ، عندما سألتها : « ستكونين على ما يرام عندما يتقاعس أبى ، أليس كذلك ؟ ولو إستطاع الحصول على اجازة فسوف يذهب لقضاء عدة أيام فى الأردن ، وهو يريدنى أن أذهب معه » وسألت سوزى نفسها لماذا وافقتها ؟ كان يجب أن تعرف عجزها عن التحمل . فالجميع يعرفون عن كاترينا كونها محبة للمغامرة بطبعها وإعتادت قضاء أجازاتها فى الخارج .

شعرت بجرح ساقها اليسرى ، ويديها ملطخة ، وفقدت الكاميرا ، لكن مازالت تحتفظ بحزام حافظة نقودها وجواز سفرها وبعض الشيكات السياحية المتبقية معها . والآن ، وهى لاهثة الأنفاس ، تطلعت حولها بلا حول لتشاهد المسرح المنحوت من

الأحجار الملونة منذ قرون مضت. ينتصب المسرح فى قلب الصحراء على يمينها، وساحته خالية من البشر وأمامها ترتفع الجدران المنحوتة من الصخر لتشكل الأضرحة الشهيرة لمدينة بترا الوردية.

كان فى نيتها الابتعاد فقط والهرب من حساب الذات، وارادت الوصول إلى الممر فى الوعد لتلفت إليها الأنظار، والآن قد وصلت إلى بطن الوادى، ولم تجد أحداً.

تزايد إحساسها بالألم، وبدأت تتجه ناحية ضيق ـ ذلك الإحمود الطويل الضيق بين المرتفعات الصخرية والذى ظل لقرون الممر الوحيد إلى تلك المدينة التاريخية المحفوة. ولكن بمجرد أن بدأت التحرك سمعت صوت شخص يصيح مناديا إياها. وطاردتها أشباح وكأنها على وشك إختطافها، وفجأة شملها الرعب؛ وهى لحماقتها لم تتقبل عرض مصاحبة المرشد السياحى لها، ولذا فهى السائحة الأجنبية الشابة الحمقاء تستحق ما سيجرى لها. وإن لم يظهر أى شخص فورا؛ فستكون سعيدة الحظ لو تمكنت من الهرب.

إستولت عليها المخاوف، عندما همت فارسين يتسابقون على المضمار، وإستدار ناحيتها لكنهما كانا مختفيان فى ظل حائط صخرى، وكانت هى لا ترى ولا تسمع غير أنات ألمها، وعندما وصلا إليها وجدتهما من العرب: يرتديان العقطرة فوق رأسيهما وحولها العقال العربى الأسود، وحصان أحدهما أشهب فوقه سرج ملون ومزين بأشرطة ودلايات ملونة. يبدو أنهما من بدو المنطقة يكتسبان عيشهما من خدمة السياح.

عندما أوقف أحدهما حصانه قبالتها قال لها شيئاً بالعربية، إفترضت سوزى أنه يناجى حصانه، عندما رأته يربت فوق

رأسه.

حدقت سوزى فيه صامته غير واثقة إثنين من العرب! هل تخرج من حفرة لتقع فى أعمق منها؟ أحدهما يبدو حسن المظهر، أسود اللون، له أنف صقر، وشارب صغير، مرتديا الجينز وقميص أبيض، وفى معصمه ساعة ذهبية، وممسكا بلجام الحصان بيده القوية. تطلعت إلى زميله، مرتديا نفس الملابس، برغم عدم وجود ساعة فى معصمه، والعقطرة تغطى معظم وجهه كان الأول يتحدث إليها، بلكنة صعبة...

«هل أنت بخير؟ هل ضللت الطريق لأصدقائك؟»

حاولت سوزى إلتقاط أنفاسها، وهى تتطلع إلى اللجام الذى بيده، وحذرها «انتبهى ـ الحصان عصبى!»

ضحك زميله وتقدم بحصانه للإمام، وقالت لصديقه «أظنك نصف كلا الحصانين أليس كذلك؟» فى تلك اللحظة هزت المهرة رأسها وطوحت بسوزى التى إختل توازنها لتجد نفسها ملقاة فوق التراب، بينما المهرة ترقص بإيقاع ممتع بجوارها، لكن سقوطها المفاجىء أذهلها، إقترب منها ووجدت نفسها تحدق فى عيونه العربية العسلية فلم تكن تظن أن العربى عيونه ملونة وتمطى فوق السرج ومد يده «لا تخافى هكذا ستكونى على ما يرام، مهما كان تعجلك؛ لن نؤخرك عن اللحاق بأتوبيس السياح» كانت لهجته الإنجليزية سليمة بارعة.

أجابته «لا... أنا...» ووجدت نفسها على وشك البكاء؛ هذا الرجل يبدو طبيعياً وعاديا أمام أى مفاجأة وهى لا تثق فى قدرتها على الإفصاح، حدق فيها متأملا، ويده مازالت ممدودة إليها «تعالى، إنهضى، يمكننا تخيل ما حدث لك ـ خصوصا وأنت بمثل هذه الملابس»

www.liilas.com

تورد وجهها بالدماء الفائرة، أدركت بكامل وعيها الآن أن قستانها الأبيض والأزرق يكشف عن معظم ذراعيها وكتفيها وظهرها ـ محتشما بالمقاييس الأوروبية ـ لكن بالنسبة لبلد مثل الأردن مازالت المرأة ترتدى الحجاب!! ياللغباء، لقد إفترضت أن الأماكن التاريخية لن تكون مكانا للقناصة العرب لإصطياد النساء.

لتغطى ارتباكها؛ تقدمت تمسك بيده وتركته يجذبها لتقف على قدميها ولمحت نظرة إعجاب في تلك العيون العسلية ذكرتها بتجربتها القاسية من لحظات وهى تعرف أنها لن تستطيع الهرب هذه المرة؛ لو أظهر أنه مثل المرشد السياحى، لكنه قال لها «ألم يحذرك أحد بأن أى سائحة تعتبر فريسة لأى أردنى عمره فوق السادسة؟ «ضحك زميله، وقطب هو فى وجهه وأكمل» هذا ينطبق على زميلى فهد، فقط يمكنك الثقة بى»

نظرت فى دهشة «ألست عربيا، إذن؟»

ضحك الرجلان معا، وتبادلا النظرات، قبل أن يجيبها «إسمى أحمد، أنا عربى لكن أمى انجليزية»

قال فهد شيئاً غير بالعربية، لم تلحظ سوى إنقشاع تكشيرة أحمد ومازالت خدود سوزى متوردة بالدم الفائر، خفضت بصرها وازاحت خصلة شعر عن وجهها بعصبية. تعرف أنها تبدو غير مهندمة بعد ما حدث لها، لكن مظهرها لايعنيها الآن وبدأت تفكر كيف تخلص نفسها من هذا المطارد الجديد.

بدأت تعى أن ردفعلها الأولى على راكبى الخيول ربما كان صحيحا ـ ربما تجد نفسها فى ورطة أسوأ من ذى قبل. فهى لن تستطيع مقاومة رجلين. ياالها من حمقاء!! سرعان ما شعرت بالأمان الزائف فور سماعها كلمات إنجليزية. وليس هناك مبرر لأن تثق فى هؤلاء العرب ونظراتهم المتطفلة؛ كما وثقت فى ذلك المسمى بـ«المرشد السياحى» الذى تسبب فى سقوطها فوق الصخر منذ دقائق.

وللمرة الأولى منذ الصباح تمنت أن ترى كاترينا، ولو ظلت معها كما كان متفقا عندما حجزوا تذاكر الرحلة، ما كانت فى هذه الورطة الآن. فعندما يكون عمرك واحد وعشرين عاما، ولست متمتعة بالإستقلال المادى الكافى، وبدون خبرة عن السفر للخارج؛ فمن السهل أن تستدرجك وكالات السفر لتقع فى حبائل دعايتها وإعلاناتها. وأثناء الإسترخاء داخل المنزل تقتنع بفكرة المغامرة.

والواقع طبعا مختلف جدا.

ماذا بحق السماء إجتذبها لتأتى إلى الأردن، دونا عن كل بلاد الدنيا، بينما هى بالكاد غامرت ذات مرة بالسفر إلى فرنسا، وقضاء الأجازات العائلية لاتدخل فى حسابها، حيث لامسئوليات ولاقرارات صعبة.

إرتعدت ألما وبدأت تتراجع، على الأقل، لاأثر للمرشد الآن، ويجب عليها التخلص من هذين الرجلين، قد تقابل بعض السياح، مؤكد هم فى مكان قريب، فقد جاءت مع بعضهم ولم يمض وقت رحيلهم بعد. نظرت إلى ساعتها، ووجدتها الثانية ظهرا، ربما تطبع رد فعلها على وجهها عندما سألها المدعو أحمد «ماذا حدث؟»

تطلعت نحوه، وعيناها الزرقاوان على اتساعهما «كم الساعة الآن؟»

حدق فى معصمه تلقائيا، ثم هز كتفيه «آسف ـ نسيت أن أرتدى ساعتى يافهد؟»

منتديات ليلاس الثقافية
www.liilas.com

«الثالثة إلا عشر دقائق»

«آه، لا ــ الاتوبيس سيتحرك بعد خمس دقائق عند المدخل!»

شعرت بخطأها للتفوه بتلك المعلومة: أدركها الوهن.

هز فهد كتفيه «لن تستطيعى اللحاق به، هل أنت وحدك؟» تأملت مدى الخطر الكامن فى خبايا سؤاله، ونظرت فى وجهه ولم تجبه، وسألها أحد بدوره «هل جئت مع فوج سياحى؟»

أجابته كاذبة «نعم ــ أنا وأصدقائى سوف يقلقون بشأنى»

«هل تظنين أنهم سيؤخرون تحرك الاتوبيس حتى تلحقى بهم؟»

«ربما» تعرف أنها تجيد الكذب، لكنها الآن تجده صعبا وتعجز عن ملاقاة عيونه، ولو استطاعت إقناعه بأن أصدقائها المزعومين فى إنتظارها، ربما تصبح فى مأمن لتعود إلى مدخل المدينة الأثرية، وهناك ستجد سياح آخرين، فهى لا تعرف ما تفعله لو لم تجد الأتوبيس، لكن ربما تقابل بعض السياح الإنجليز أو الأمريكين لتعود معهم إلى عمان.

سألها أحد «هل تركبين الخيل؟» فوجئت ووجدت نفسها تنظر إليه، وهى تتشكك إن كان يضحك منها؟ لكن إبتسامته كانت ودية، وسؤاله جاداً، وهزت رأسها «لا، لماذا؟»

«فقط كان بإمكانك اللحاق بهم فى آخر دقيقة على ظهر حصان»

بدأت تشعر بحرارة الخوف والخجل تشعل أعصابها، والآن حان وقت رحيلها قبل أن يتعقد الوضع. ربما بكلمة وداع مؤدبة وباردة تجعلهم يدركون أنها غير راضية عن صحبتهم لها، لكن

قبل أن تفتح فمها لتنطق بتلك الكلمة تحدث أحد «من أين جئت ــ من عمان؟»

بدون تفكير أجابته «نعم»

«كنت مع فوج سياحى وستعودين إلى عمان؟»

أومأت موافقة.

«إذن ماذا ستفعلين؟» حاول أن ينطق سؤاله بطريقة ودية.

هزت سوزى كتفيها «سأعود إلى المدخل، ربما أجد أصدقائى فى إنتظارى» تحدث فهد بالعربية لصديقه، وقال أحد لها «يعتقد أنك معنا فى أمان أكثر»

«لا، شكرا لكم، ستكون الأمور بخير»

شعرت سوزى بأدب مجاملتهم وخطأ تقديرها لهم؛ رغم قرارها الحاسم بالابتعاد عنهم؛ لكن لا تستطيع أن تكون قطة معهم وهم مصرون على مساعدتها. لكن لماذا لا يتركونها وحدها؟ وأضافت «لا أريد إزعاجكم. شكراً، حسنا...»

قبل أن تكمل ما أرادت أن تقوله لإبعادهم عنها، إنفجر أحد ضاحكا، ونظرت إليه مندهشة وبدأت تخطو فى طريقها، لكنه صاح «فقط الفتاة الإنجليزية هى التى تتحدث هكذا! كم عمرك؟»

وأضاف «ستة عشر، سبعة عشر؟»

«لا أظن ذلك يهمك! والآن هل تتفضل بالابتعاد عن طريقى؟»

تحول الحصان ناحيتها، ولم تستطع إدراك إن كان أحد هو الذى دفعه أم لا وبدأت ترتعد خوفا، لكنها قررت إخفاء مشاعرها، عندما سألها أحد «ما إسمك؟»

منتديات لياس التعاونية www.lilas.com

«ليس شأنك، أوقف حصانك!»

كان أحمد مقطباً جبينه، وكان متحكماً فى خطوات حصانه، ابتعد به عنها، وقال «إسمعى، أيتها الفتاة الانجليزية الصغيرة ــ أيا كان إسمك ــ لقد ارتكبت عدة أخطاء فى الدقائق القليلة الماضية وكان بإمكانى أنا وفهد إيذائك لو أردنا، أهذا ما تخافين منه، أليس كذلك؟».

شحب لونها وعجزت عن النظر إليه وسمعته يقول «أعرف أن الأمور ليس بظواهرها دائما، وأن أمك أخبرتك ألا تثقى بالغرباء ــ خصوصا العرب» سمعت شهقة فهد، وأكمل أحمد حديثه «لكن تخلصى من هذا للحظة، سنوصلك إلى المدخل، وإن كان أتوبيسك قد رحل، سنوصلك إلى عمان»

نظرت إليهما بعصبية، وضحك فهد بينما ظل أحمد جامد الوجه، وتقدم فهد ناحيتها بهرته قائلاً: «وهو كذلك، فعلا، أحمد يعتقد أن روح جدك السير جلاهاد قد بعثت فيه، وحتى أمك يجب أن تثق به! ما إسمك؟»

«سوزى» نطقت بها بسهولة ونظرت إلى أحمد، ولم يبتسم وقال «إفهمى ما أقصده؟ أمك، بصرف النظر عن الثقة بى، كان يجب ألا تتركك بمفردك. أليست فى الأتوبيس؟» أجابته: «طبعا لا» أربكتها كلماته، ربما كان يجب ألا تسافر، لكنها ليست سادجة أو مراهقة، حتى لو صدر عنها بعض الحماقات اليوم.

لكنه قال «أنت تستحقين الرأفة، ربما قد تستدعى أمك البوليس لتعقب أثارك الآن وتريحنا من عناء حمايتك من نفسك. أولا...» كانت نظراته تمسحها، دون مواربة «أنت فتاة لطيفة جدا، بعيونك الزرقاء يا سوزى، ثانيا، الطريقة التى

تريدين بها ثيابك تفسر هنا على أنها دعوة صريحة لأى شاب قادر تقع عيونه عليك ــ كما ذكرت من قبل. وثالثا، يبدو أنك لاتعرفين كيف تهتمين بنفسك» تمطى ناحيتها ومد يده إليها «تعالى، إن لم تكونى قد إمتطيت حصانا قبل، الآن حان وقت ركوبه، فى أمان تام، أعدك بأننى لن أحاول إغوائك؛ بشرف الفرسان»

تنقلت نظراتها بينهما بسرعة، لقد خرج الموقف من بين يديها، فهى لا تريد التورط مع أى منهما، لكنها مضطرة للثقة بهما ــ وهى تتساءل إن كانت قد إرتكبت بذلك غلطة شنيعة.

تنهد أحمد بنفاذ صبر، لكنه لم يسحب يده «سوزى، هذا عرض لن يتكرر فليست كل فتاة صغيرة مثلك تجد الفرصة لركوب الخيل فى مدينة بيترا مع عربيين مشكوك فيهما..»

قال فهد «تحدث عن نفسك يا صديقى!»

«أنا أتحدث عن نفسى»

تضايقت سوزى من لهجته الساخرة ولم تنكر عمرها الذى حدده، بينما رأته يركز عيونه عليها «لاتقولى لى، أن عمرك خمسة وعشرون عاماً» فجأة إختفت كل مخاوفها، ووجدت نفسها تبتسم له، فهى أعجبت بأحد، سواء كان عربى مشكوك به أم لا، على الأقل لديه إحساس فكاهى.

نظر إليه وعيناه تشع بالود «حسنا صديق عربى، أظننى كسبت هذه المرة؟» كان واضحا أنه يشير لقرارها بالثقة فيه وليس فى فهد، أمسك بذراعها وطلب منها أن تضع قدمها على الركاب ورفعها لتجلس أمامه، وتدلت ساقيها حول عنق الحصان، كانت تجلس على حافة السرج، وكان أحمد يسندها بذراعه، «هيا يا سوزى، قلت لك سأحميك وستقعين لو بقيت

www.liilas.com

جالسة هكذا، استديرى وأمسكى بى، هذا الحصان لم يفوز أبداً بجائزة الكأس الذهبى لكنه لو أسرع سيوقعك على ظهرك، ألم تجرحى نفسك من قبل؟»

«لا، كان صوتها خافتا، بينما هى تعتدل لتدير وجهها له وتجلس قبالته وتمسك بذراعيها حول وسطه، واشتعلت أعصابها لإضطرارها الإمساك به بقوة، كانت رأسها فوق صدره.

سألها «مريحة؟»

«نعم، شكراً»

«ليس درساً أوليا تقليديا فى الفروسيا لكن على الأقل سيعجبك» وهو يحاول تهدئتها وبث الطمأنينة داخلها كما لو كانت طفلة!! وابتسمت، وضحك رفيقه وقال «بالنسبة لرجل يصور نفسه وكأنه قداسة السير جالاهاد ستلقين منه سلوكا غير متوقعا حيال المرأة، ربما تحبين تغيير الحصان يا سوزى؟ حاولى تجربة حصانى»

تفحصت وجه أحد، الذى أجاب فهد «لا، شكرا يا فهد، هى تفضل الركوب معى، أليس كذلك يا سوزى؟ خصوصا أنها إكتشفت شيئاً، تتدبر كيف تسألنى، تشجعى!»

تحرك الحصان متهاديا فى خطواته ولكنها فوجئت فأمسكت به، وقال «لا تخافى لن يجرى الآن»

ساد الصمت لحظة، إستغرقت سوزى فى متابعة خطو الحصان منصته لوقع حوافره، وإيقاعها، ونظرت إلى الجدران الصخرية المحيطة بهم، وسمعته يهمس لها «إستمرى يا سوزى تحدثى، لا أتحمل الإثارة!»

رغما عنها تلاقت نظراتهما «وهو كذلك، لو كان يجب أن... أنت لست عربيا»

تراجع للخلف قليلا، وعلى وجهه تعبير ساخر «بحق السماء! كيف خمنت هذا؟ أتقصدين أننى مقنع لك مائة بالمائة؟»

ضحكت «ليس هكذا طالما صديقك يناديك بنات، فأنا أعتبركما الإثنين معاً»

«أعرف» جذب اللجام للخلف «رأيت ما يجول بخاطرك»

لم تدرى كيف تقول هكذا بدون وقاحة لذا سألته «هل أنت إنجليزى؟»

«أخشى ذلك، لكن فهد عربى أصيل أليس كذلك يا فهد؟» إستدار ليحدث صديقه الذى قال له «أصيل أربعة وعشرون قيراطاً، لكننى لا أدرى كيف إستطعت الفوز بها يانات، رغم أن مظهرك كشيخ عربى رهيب»

أجابه نات «لا تخجلنى أمام الغرباء، فعيون سوزى الواسعة الزرقاء تسلب عقلى» ثم إعتدل مركزا على قيادة الحصان، ممسكا باللجام فى يده اليمنى، بأصابعه الطويلة القوية، لمعت لون شعر ذراعه الذهبى الأشقر، وأدركت كم هى غبية لعدم ملاحظة هذا منذ البداية. عند منحنى الطريق يصيحون عند مدخل المدينة وعلى جانبهم المبنى المسمى «بالخزانة أو الكنز» بأعمدته الصخرية الوردية اللون وعلى يسارهم المدخل الضيق للطريق السرى للمدينة.. مجرد ممر بين حائطين صخريين، سألها «أتريدين النزول لتمشى على قدميك، أم أنك سعيدة بالبقاء فوق ظهر الحصان؟»

«لماذا؟ ألا يسمح بركوب الخيل داخل المدينة؟»

هز كتفيه «جميل، مالم يغضب الحصان ويقرر الجموح، فالطريق أضيق من مضمار المشى «جذب اللجام بلطف وتوقف

www.liilas.com

الحصان مطيعا له » الآن ، دعيني أحظى بمشاهدة ساقك الجميل النحيل بينما تلتقي به حول عنق الحصان فهو لم يعتد على ركوب أنسة جميلة مثلك فوق سرجه »

حاولت ألا تفعل ، لكنه تنقل باللجام من يد الأخرى ، ووجدت نفسها تستند للخلف لتفسح لنفسها موضعا لتحرك ساقها فوق الحصان ، خشيت أن يظنها فعلت ذلك عمدا ، وفجأة نزل من فوق ظهر الحصان ، وبقيت هي جالسة فوق الحصان « لكنني لا استطيع قيادته ! » وهي تمسك بحافة السرج ، أجابها « لن تقوديه سأقوده أنا ، فقط عليك بالجلوس حركي ركبتيك »

شاهدته وهو يحكم رباط ركاب السرج ، وبكلمة عربية إنطلق فهد وركزت هي عيونها على الحصان ؛ وبدأ حماسها يتزايد ، وعند الإقتراب من المدينة بدأت تقلق من تخلفها عن فوجها السياحي فكلهم غرباء عنها ، ولم تتحدث مع أي شخص منهم ، لكنها تابعت إثنين منهم ، وبعدها غابا عن عينيها ، وبدأت تقطع الطريق بحثا عنهم ، دون جدوى ، والآن ، هي واثقة في نات الذي يقود الحصان بها ، وإستمتعت بتلك التجربة المذهلة وهي تشاهد من فوق الحصان القناة التاريخية التي تحمي الحضارة الغابرة والمختفية منذ قرون ، تحميها من هجمات مفاجئة ، شاهدت اللون الأحمر القاني فوق حوائط وجدران عالية طبيعية حيث تنمو نباتات خضراء في الزوايا التي تحميها من أشعة الشمس .

في النهاية وصلوا إلى مشارف المدينة ولم يعثروا على فهد ، وأوقف نات الحصان ، ونظر إليها « حسنا ؟ هل إستمتعتي ؟ »

إجتاحها شعور حالم ، ونظرت إليه بعيون لامعة « إنه أمر

خيالي رائع ! لم أدرك ذلك منذ البداية ، كنت مشغولة بمحاولة العثور على المجموعة السياحية »

لكز الحصان ليمشي ثانية وقال « ماذا حدث بالضبط للفوج السياحي وجعلك تتأخرين هكذا عن الأتوبيس ؟ »

تذكرت بوضوح ماذا حدث لها ، « ليست خطأ الفوج بل غلطتي أنا فلقد تفرقوا جميعا ، وبعضهم كان متلهفا على تسلق الجبل والصعود إلى الدير .. »

« أعرفه ، كان يستخدم ككنيسة مسيحية ، لكنه بعيد جداً عن هنا »

« تابعت خطى بعضهم ، لكن يبدو أنني ضللت الطريق فلم أجدهم ، وظللت لفترة أبحث عنهم » توقفت للحظة « وتجولت لفترة وحدي حتى قابلت إثنين من السياح ليسوا ضمن الفوج ، كانوا يتحدثون لرجل عربي كان سيرشدهم لمشاهدة بعض المقابر التاريخية الرومانية خلف الصخور ، وسألوني إن كنت أريد الإنضمام لهم .. بعد فترة قرروا الرجوع ، وأراد المرشد السياحي أن يرشدني لمشاهدة المزيد ، حتى حدث ما حدث » كان الضيق واضحا في صوتها ، وقال نات : « أستطيع تخمين بقية ما حدث ، فالتجول هنا مخاطرة لكل السيدات السائحات ، لكن هل سألت عن ذلك ؟ »

بلا توقع غالبت دموعها ، فلقد إستحضرت تلك الورطة مرة أخرى في ذهنها حية وكأنها تعيشها الآن ، وكأنه لم يلحظ صمتها واصل نات حديثه « رغم تلوث ملابسك مثل السائحات الجوالة ، ورغم الخدوش والجروح التي لم تلاحظيها ، أرى أنك جميلة .. أليس كذلك ؟ »

نظر إليها عندما لم يسمع جوابها ، فأومأت ، وهي تقول

doodle al Jalod

لنفسها، نعم أنا بخير، إن كانت كل الخدوش والجروح التى تغطى ظهرى، عندما أطاح بى رجل مجنون بقوته المرعبة فوق الصخرة، يريد إغتصابى ورغم أن تلك الذكرى المرعبة ستكون رؤيتى للعلاقة الطبيعية بين الرجل والمرأة ولن أستطيع نسيانها، وسألها مقاطعا صمتها «كيف أتيت لزيارة الأردن بمفردك؟»

لو لم يكن صوته مليئا بالحنان لما كان غلبها بكائها، فلقد ذكرت عزلتها ووحدتها بعد سفر كاترينا، وكيف ستقضى الاسبوع القادم وحيده، ورفعت يدها لتخفى الدموع التى ملأت عيونها، لكنها بدأت تنهمر بغزارة وبدأت هى تنتحب، ودون وعى وجدت نفسها تنزل من فوق ظهر الحصان وترتمى فى أحضان هذا الغريب وتبكى على صدره!!

الفصل الثانى

أول لقاء

مسحت سوزى دموع عينيها بظهر كفها. المشكلة أن مجرد بدء بكاء المرء يصعب التوقف؛ وبينما كان الغريب المسمى نات ممسكا بها بلطف، إنحنى ليقول لها «حقاً كان يجب ألا تخرجى بمفردك، كم عمرك؟»

«واحد وعشرين» قالت لنفسها بأسى يكفى لأن أعرف الحياة، واستطردت «آسفة لم أقصد ذلك» كان صعبا عليها التحدث بسلاسة بعد إنهيارها، لكن الرجل الذى يسندها يبدو قادرا على التفسير الصحيح، عندما قال لها «لا داعى للإعتذار، أتريدين الحديث عما حدث؟» هزت رأسها، مازالت عيونها تفيض بالدموع، ومسح بلطف خدودها «أظن البكاء أحد طرق غسل وجهك» ثم أصبح صوته جادا «هل أنت بخير؟ أحياناً من الأفضل أن تتحدثى، حتى لو لم تريدين ذلك، إنها طريقة جيدة لتبديد الكوابيس السيئة» تشددت قبضته حول ذراعيها وإرتعدت «آسف، هل جرحتك؟ لقد صنعت معروفا بمجيئك هنا»

تذكرت كيف حاولت التخلص من المرشد المزيف الذى حاول اغتصابها «كيف تخلصت منه؟»

www.liilas.com

«لست واثقة... ربما فقد توازنه عندما حاولت التخلص منه. كان ممسكاً بحزام الكاميرا وإنقطع، عندئذ هربت منه»

«يعني هذا أنك فقدت الكاميرا، ربما يحتفظ بها كجائزة جبران خاطر!!»

ارتجفت «لا يهمني، على الأقل لقد نجحت في التخلص منه» ابتسم نات لها، ابتسامة لطيفة ساخرة «هذا إتجاه ايجابي منك، والآن يحسن أن يتحرك قبل أن يعود فهد، هل تريدين ركوب الحصان مرة أخرى؟»

كان يتحدث إليها بطريقة تبعث فيها الطمأنينة، رغم أنه نفسه يشع بالثقة الكافية في حد ذاتها، لم تستطع تخمين كم عمره، فالقطرة والعقال العربي تغطي معظم وجهه، ربما يبلغ الثلاثين، ابتسمت ابتسامة خلابة ونظرت إلى الحصان، واجابته «لا، شكرا، ليس انصافا له»

«أنا لا أعرف اسمه الحقيقي، هو إسم عربي، فهو ملك لصديق فهد»

سارت بجواره وهو يسحب الحصان من لجامه، أصبحوا بالقرب من المدخل الآن هناك يقع فندق صغير به مطعم ونقطة حراسة.

سألته «ماذا تفعل هنا في الأردن»

حدق فيها «وأحكم وضع القطرة حول رأسه؛ وجذبها بلطف لتظهر وجهه «أنا مهندس كمبيوتر»

«هل تعمل هنا منذ فترة طويلة؟»

كان هناك تردد قبل أن يجيبها «لا، أنا أصلح بعض الأعطال الفنية، أنا أعمل في شركة اليكترونيات تبيع أنظمة كمبيوتر ضخمة للعملاء الأجانب، وعندما يحدث عطل يرسلون

مهندس كمبيوتر لإصلاحه. لدينا مركزين هنا، لذا ليس لدينا مهندس مقيم، من الطبيعي أن وكيلنا في الشرق الأوسط يتعامل معهم، لكنه مشغول بمهام في السعودية الآن.»

«هل أنت في اجازة الآن؟»

«يمكنك اعتبارها كذلك، من ناحية أخرى، قد أسافر على أول طائرة غداً لأعود إلى لندن، يجب أن أكون على إتصال بالمركز، وهذا يعتمد على ما يحدث»

«كونك مهندس كمبيوتر تبدو وظيفة باهرة»

لدهشتها، إنفجر ضاحكا «قولي ذلك للمهندسين المدنيين وهم ينفجرون في وجهك غضبا! في عالم الكمبيوتر تغير وظيفة دنيا رغم أنه بدون مهندس الكمبيوتر فإن أخصائي البرمجة والتشغيل لن يعملوا، ومع ذلك تحصل على أدنى المرتبات»

«هل تحبها؟»

توقف متمهلا قبل أن يجيب «لو لم أحبها لما كنت هنا الآن»

«رغم حقيقة ضعف راتبك منها؟»

«رغم ذلك؛ فإنها نوع من التحدي أنا أحب مقابلة الناس، وأحب تجريب الصعاب والمستحيلات والمواقف المرجة أي شيء بدءاً من الأشرار العرب حتى إصطياد الفئران بالمصائد الكهربائية» ضحكت وحدق هو فيها «هذا أفضل، تبدين طبيعية الآن، سنصل للمقهى خلال دقيقة وسأحضر لك مشروبا، لا يقدمون سوى الكوكاكولا أو الليمون، أخشى، أنهم يذهبون إلى سوق بيترا لأحضر ذلك أيضاً»

سألته في دهشة «أين هذا؟»

«ألم تشاهديه؟ إنه كهف يديره عربي يمتلك حمار، ويبيع

www.liilas.com

كل شيء بدءاً من الأساور النحاسية حتى الولاعات البلاستيكية، هل تريدين العودة لإلقاء نظرة؟»

ارتعدت قليلا «لا، شكراً، العرب فى الكهوف ليست مناظر محببة لى الآن»

كان فهد فى إنتظارهم عند المقهى عندما وصلوا، رفع يده محييا نات، وابتسم لسوزى «أتوبيسك تحرك منذ ثلث ساعة، إنتظروا فترة، لكن المرشد قال مستحيل الإنتظار أكثر، سيتحرك أتوبيس آخر بعد فترة»

«بعد كم تحديدا؟» كان نات يقيد الحصان الأشهب فى شجرة قريبة مثل كاوبوس، المبانى القريبة بها نقطة حراسة والمقهى جزء من بيت الضيافة الصخرى القديم، بداخله مطعم فاخر.

هز فهد كتفيه «الليلة؟ ربما غدا؟»

نظرت لوسى بلا حول لكليهما «هل يعنى هذا لن يأتى أتوبيس آخر؟»

وأجاب نات «يعنى هذا أنك ستنتظرين طويلا، كيف ترين قضاء الليلة هنا؟»

وسألته «أتظن أننى لن أجد أى سائح يوصلنى إلى عمان؟» وخلا صوتها من أى إحساس بالأمل.

«مستحيل، يا فهد، هل تظن بإمكاننا أن ندخل المطعم الأردنى الفخم بإمرأة رثة الثياب وشعرها منكوش كريش الطائر؟»

«ربما، لو لم تجلس على المقاعد»

دفعها نات إلى مدخل المطعم بلطف «تقدمى، تقدمى، ماذا تفضلين، كوكاكولا أم الليمون؟»

«كوكاكولا، من فضلك، لكن...»

«تقدمى»

كان الأفضل أن تدخل بدلا من مواصلة المناقشة، فلقد وجدت أن أحداث الساعات القليلة الماضية قد نسفت كل إحساسها بالإستقلال.

كان عند المدخل عربى يرتدى زيا جيلاً بدا أنه أحد الجرسونات، وتوقعت أن يطردها لكنه ابتسم مرحبا وأشار إلى باب حمام السيدات لتغتسل.

نظرت فى المرآة ليرعبها مظهرها، كان شعرها منكوشا، وجهها مغطى بالتراب، ولم يسعفها البكاء على حالها، وبعد أن اغتسلت ومشطت شعرها استعاد مظهرها المهر الجميل، وخرجت لترى فهد جالساً حول مائدة خارج المقهى، وأمامه ثلاث زجاجات كوكاكولا، عندما رآها تناول كوبا وصب الكوكاكولا.

وابتسم لها «إشربى، ستشعرين بتحسن».

بدأت تفقد إحساسها العصبى بالخوف من العربى وابتسمت له، ولمعت زرقة عينيها فجأة، ورأت عيون فهد على إتساعها وقال «تبدين الآن مختلفة جداً!! الآن يجب حمايتك من نات»

«أين نات؟»

«لقد ذهب ليحادث بعض السياح ليحاول إيجاد توصيلة لك»

«أنه طيب جداً، هل أنتما أصدقاء منذ فترة؟»

«عرفته من خلال عملنا، التقينا منذ عدة أيام فقط، لدى عمل مع شركته»

«ماذا تعمل؟»

www.liilas.com

«صاحب شركتى أحد مالكى نظام الكمبيوتر، وأنا محامى لديه»

«أنت تتحدث الإنجليزية بطلاقة» ابتسمت وأضافت «أتمنى ألا تظن ذلك مجرد إدعاء»

ابتسم لها: «شكراً على المجاملة! لكننى تعلمت الإنجليزية فعلا، كنت تلميذا فى المدرسة بإنجلترا لأربع سنوات، ثم إلتحقت بكلية الحقوق فى الولايات المتحدة لفترة».

لاحظت قدوم سائح من ناحية نقطة الحراسة، كان متوسط الطول، شعره خفيف بنى طويل نوعا؛ استغربت إن كان أمريكيا وكان مرتديا الجينز.

صاحت «نات!»، عندما إقترب منها ودققت النظر فى ملامحه!»

سألها: «لماذا الدهشة؟»

«تبدو مختلف تماماً بدون غطاء الرأس العربى»

تفحصتها نظراته «وأنت تبدين مختلفة بعد إزالة تلك القذارة» تناول مقعدا وجلس، وصب لنفسه الكوكاكولا «ليس لنا حظ كاف مع السياح الآن، هناك زوجان أمريكيان استأجرا سيارة، لكنهما ليسا متجهان إلى عمان، مع ذلك مازال هناك حل للمشكلة»

«هناك الأتوبيس القادم للسياح»

هز فهد كتفيه «ربما يجىء الأسبوع القادم، وسأله نات «هل يمكنك البقاء فى الفندق هنا؟»

«يمكننى فقط البقاء حيث أنا فى عمان لقد جئت مع أحد الأصدقاء أصلا، وخططنا لإقتسام النفقات بيننا، فالسفر وحيدا يكلف كثيرا»

«صديقك هذا؛ أين هو الآن؟»

تنهدت سوزى «صديقتى! حقا يجب ألا تسمع عنها؛ فهى قصة طويلة»

«يا للهراء، لم يعد بإمكانى أنا أو فهد فعل شىء أفضل، لرعايتك»

قبل أن تفكر فى كيفية الرد عليه سألها فهد «لقد هربت مع شخص عربى أليق قال لها أنه شيخ؟»

«ليس هكذا تماما» أجابته بينما نات يحدق فيها «هواية كاترينا المليونيرات» سألها نات «دائما مع الجميع أم هناك واحد بالتحديد؟»

تعرف سوزى أن كاترينا مهتمة جداً بالمال لكنها ليست مستعدة لمناقشة هذا معهم، والآن ندمت على ماقالته عنها، فهى ليست موجودة لتدافع عن نفسها، وسوزى ليست مستعدة لإنتقادها أمام غرباء «بوب صديقها»

«شيخ عربى يسمى نفسه بوب؟ صديقتك أكثر براعة منك يا سوزى!»

تحت نظرة بين الرجلين، كان واضحا أنهما يتسليان بها، قررت الرد عليهما «بوب أمريكى، لكنكما اللذان تجعلانه شيخا!»

وقال نات «إذن صديقتك كاترينا تخلت عنك لصالح مليونير أمريكى؟»

«ليس تحديدا، هناك إحتمال وصوله لكننا لم نفكر جديا فى ذلك عندما حجزنا للسفر» فعلا لقد جاء بوب فى اليوم التالى لوصولهم إلى عمان، وفى اليوم الثالث سافرت معه كاترينا، وأصبحت سوزى بمفردها، حائرة كيف ستقضى بقية

www.liilas.com

أجازتها بمفردها، وكانت رحلتها إلى مدينة بترا أحد الأشياء الأصيلة التى رمقتها للمجيء إلى الأردن، قبل أن تنفذ نقودها.

سألها نات «كيف تعرفت على كاترينا؟»

«نوع من الصداقة الدراسية القديمة هى أكبر منى بعدة سنوات، وكانت تبحث عمن يشاركها السكن عندما جئت إلى لندن للعمل، وأنا أقيم معها الآن»

سألها فهد «ماذا تعملين فى لندن؟»

«أنا سكرتيرة ــ حسنا، سكرتيرة صغيرة؛ أقوم بعمل مؤقت»

سألها نات «وهل كاترينا تعمل بصفة مؤقتة أيضاً؟»

هزت كتفيها «لا، هى تعمل مساعدة شخصية فى معهد المدراء، لكننى لا أظن أنها ستواصل عملها بعد مقابلتها لبوب» لم تستطع إخفاء لهجة الإستهجان.

سألها نات «هل استنتج عدم رضائك عن سلوكها، أم أنك شغوفة ببوب أيضاً؟»

«لا، لست شغوفة به!» أدهشتها حدة إجابتها، فهى مازالت غاضبة من رحيل كاترينا المفاجيء، لكن حدتها تفوق ذلك، ربما بسبب إهتمام كاترينا الزائد بالمال، وإهتمامها الدائم بالأثرياء، وتقييمها للرجال بمعيار المال وحسابات البنوك لكنها رومانسية بطبعها، ومع ذلك لم تستحسن الإفصاح عن خصوصياتها لتسلية الغرباء، وعندما سألها نات «ألا تفضلين الزواج من مليونير تحت أى ظروف، أم أنك ترفضين نزعة صديقتك؟»

«كاترينا وأنا متوافقان غالباً، لكن لكل منا فكرها عندما تصل الأمور لمثل هذا».

سألها «إذن كاترينا ستتزوج مليونير، ما هى خططك للمستقبل؟»

هذا سهل، لن تعطيه الإجابة التى يتوقعها «العودة إلى عمان»

ارتسمت ابتسامة فى حنايا وجهه وواصلت عيونه العسلية تأملها وقال:

«إذن يجب أن نرتب ذلك؟ إشرب يا صديقى العربى، حتى تنهى عملنا»

بعد دقيقتين، تركها هو وفهد لتنهى شرابها وحدها «إبقى هنا حتى نعود ولا تتحدثى مع أى غريب ــ خصوصا فهد»

ابتسمت له، واحتوته بعيونها، كان هناك شيئاً لم تستطع الآن الاستجابة له ــ خليط من الطيبة والمرح شجعتها على الثقة به ــ وهناك شيء يبعث على الثقة فى سلوكه الأخوى، وهى تسترجع أفكارها تمنت أن ينظر إليها من زاوية مختلفة عن كونها فتاة صغيرة بلا خبرة، هى تدرك تماما بعد تجربتها المأساوية عند الصخرة لن تثق به لو أظهر أى مطامع شهوانية.

وقالت لو كانت كاترينا مكانها لكانت هى التى تقود دفة الأحداث، لكن كاترينا لم تكن لتهتم به: هى مهمومة بالمال، وبإعتراقه شخصيا فهو مهندس كمبيوتر يكسب القليل من المال، ولن يلائم كاترينا، ولن يستحق تضييع وقتها خلفه.

إحتارت فى تقدير عمره، منتصف العشرينات، ربما، لكن لن يزيد عن ثلاثين ربما له شقيقة فى مثل عمرها، سيسعدها لو عرفت أن له عائلة، فجأة فكرت فى أسرتها هى، أختها غير الشقيقة، ذات الأعوام التسعة، الشغوفة بمعرفة كل تفاصيل حياتها، زوجة أبيها، الودودة، المستغرقة بكليتها فى حياة قريه

www.liilas.com منتديات ليلاس الثقافية

كبردج شاير، التى تعيش بها منذ طلاق أبيها لأمها، وأبيها الهادىء، وكيل العقارات الموثوق به، الكتوم الذى لا يبدى مشاعره، لكنه مستعد لإحضار القمر أو لبن العصفور لو طلبته زوجته أو إبنته.

لقد وفر لها الجو العائلى الآمن خلفية لعالم سوزى المنعزل، وبمساعدتهم ودعمهم تشجعت للبحث عن حياة مستقلة فى لندن ولو عرفوا ماحدث لها الآن لإنفجر بركان غضبهم فى كاترينا، لتركها وحدها، وما قالته له صحيح، فهى وكاترينا كانا فى مدرسة خاصة واحدة ـ مدرسة صغيرة بالقرب من قريتها، كانت كاترينا أكبر منها بأربعة أعوام؛ لكن والديهما كان يعرفان بعضهما، بعد إنتهاء سوزى من دراسة السكرتارية، قررت الإنتقال لتعيش مع كاترينا فى شقتها بلندن، كان عمرها ثمانية عشر عاما وقتها، وأظهرت زوجة أبيها شكوكها فى الاعتماد على كاترينا ذات الأعوام الاثنى وعشرون، وفى عالم مجهول ومدينة ضخمة مثل لندن، ووصفتها بالحماقة والإندفاع للمشاكل مما يعنى فى طياته: الحمل والمخدرات.

بسرعة تعلمت سوزى، أن كاترينا رغم سلوكها المستهتر، حساسة جداً وعنيدة عندما تصل الأمور لحياتها الشخصية فهى تعرف ماتريد ومصممة على الحصول عليه وأعجبها طريقة تناولها للأمور وتغلبها على الصعاب التى تعترضها، لكن سوزى تفتقر للطموح والدافع لأهداف واضحة والثقة بالنفس.

لو عرفت زوجة أبيها كيف تقضى الآن معظم أمسياتها فى لندن، لأقلعت عن الإنشغال والقلق من تأثير كاترينا بينما تقضى كاترينا وقتها مع الشباب الذين يغويها مظهر ثرائهم، تظل فى الشقة تشاهد التليفزيون أو فى شغل الإبرة، الذى

تستمتع به، وتقضى معظم اجازاتها الاسبوعية مع أسرتها. كان لديها الوقت مرارا لتخرج مع كاترينا وأصدقاءها حتى حان وقت لقاءها مع جيرالد.

بخلاف كاترينا لم تكن لتهتم بالشباب الذين يحاولون إغوائها بالحديث عن وظائفهم البراقة أو سياراتهم أو شققهم، فى البداية بدا وكأن جيرالد شارمان ليس من هؤلاء الشباب الوقح الذين يظهروا فى صحبة كاترينا كان عمر سوزى وقتها تسعة عشر عاما، وكانت تجاربها الرومانسية السابقة أثناء فترة الدراسة، ولم تسفر إلا عن بعض القبلات أثناء مشاهدة السينما، أو الذهاب إلى الديسكو، وبدا أن جيرالد شابا غير مجربا مثلها، وكان مستحيلا عليها أن تفقد قلبها لأول شاب وسيم تقابله أظهر إعجابه وابهاره بها، تأثرت بشقته فى نفسه، وجاذبيته، كان طويلا جميلاً وسيم الملابس، غير مهتم بالمال، خرج معها للديسكو وتناول العشاء مرارا، وإلى الحفلات مع أصدقائه وأبدى حبه لها وفى الدوامة الرومانسية لم تطأ قدمها الأرض طيلة ذلك الصيف، لكن لم يبرحها تحفظها، إحجمت عن الانغماس كليا، خصوصا فى عالم المال والشهرة، الذى لا تثق به، ولم تتطور علاقتها به، لأنه تعرف أنه لا يريد الزواج منها، رغم تمنياتها، لكن عيونها لم تغمض عن حقيقة تجنبه ذكر مسألة الزواج، فيما بعد أدركت الأمر كله عرفت أن جيرالد واهتمامه الحقيقى مركز فى إبنة رئيس مجلس إدارة ناجح وثرى، كان يراها حتى أثناء لقائه بسوزى، عرفت الآن، رغم أن هذا يجرح شعورها، أنه وجدها مجرد تسلية مؤقتة، وهى الآن لا تدرى إن كانت قد وافقته على نزواته هل كان سيظل على علاقته بها، لكن النهاية كانت حتمية، هى ليست ثرية وبلا

www.liilas.com

علاقات قوية فى عالم رجال الأعمال والسلطة والمال، وهو ما كان يريده هو والحب بالنسبة له مجرد لعبة مسلية.

جعلتها مرارة تجربتها معه تتصرف على نقيض كاترينا، فى موضوع الزواج بينما كاترينا تبحث بدأب عن الثروة لاتثق سوزى فى الذين يجرون خلق المال لخلق مجد زائف، «قفزت بها أفكارها إلى نات، مهندس الكمبيوتر الواثق بنفسه وذى الراتب الضئيل والذى اختلف مظهره بعد خلع غطاء الرأس العربى بالكاد صدقت أنه هو، فى البداية إعتبرته خطرا، وبعد ذلك أصبح سندها والذراع التى بكت على كتفها، والمرح الذى بدد حزنها، هى سعيدة لأنها لم تقابل فهد وحده، يبدو أنه «قناص عربى» ولم يحصل على ثقتها بعد فمازالت بينهما حواجز.

ربما كانت ساذجة، هكذا قالت لنفسها، وبسبب كون نات رجل إنجليزى متعلم يجيد الحديث تثق به، ربما هذه طريقة للمناورة للسيطرة عليها، لكن هناك شىء أكبر من ذلك، لقد لمحت فى عينيه نوع من القوة الكاملة، وتذكرت طريقة ضحكة من ردود أفعالها السخيفة، وسخريته منها، بينما هى مستغرقه فى تفكيرها سمعته «هذه ابتسامة ساحرة ياسوزى هل تتدربين لمنافسة الموناليزا؟»

رأته بجوار المائدة، ولم ترى فهد، وسألها «لماذا لم تشربين الكوكاكولا هل تشكين أن صديقى العربى قد وضع مخدرا بها؟»

إتسعت دائرة الابتسامة «لا، لقد راقبته وهو يصبها فى الكوب»

جذب نات كرسيا، وجلس «ياه، لكنهم لديهم طرق لحقن المخدر فى الزجاجة مباشرة، يجب أن تنتبهى»

تساءلت هل يمزح معها أم أنه يمارس دور الأخ الأكبر، لايهم. فهى طريقة تتسلى بها مع أختها الصغرى «أظن يجب أن تعرف، يجب أن أتبادل الأكواب معك!»

«أشرب ماتبقى فى كوبك، بحق السماء يا لها من خسارة لا أريدها خصوصا بهذا الثمن»

إتسعت عيناها ساخرة «هل دفعوا لك فعلا مقابل هذا؟»

«أنا حفيد اسكتلندى، والآن هل تريدين سماع حل مشكلتك؟» أومأت برأسها، وأكمل حديثه «فهد سيقابل شخصا هنا، ليتأكد أن الخيول ستعود إلى صديقه، والآن لاتقاطعى ولاتناقشى، كنا سنظل هنا حتى الغد، لكن بصراحة متعة ركوب الخيل حول صخور بيترا قد تلاشت بعد مغادرة اليوم، سأوصلك إلى عمان الليلة، هل تقيمين فى فندق»

«نعم، لكن..»

«ليس هناك لكن، هل تتذكرين مكانه؟»

«نعم، لكن..»

«تنهد ضيقا» لست مطيعة «سأوصلك حتى باب الفندق، وهو كذلك؟»

«لكن ماذا عن فهد؟»

«هو بخير، سيعود مع صديقه غدا، لديه أصدقاء كثيرون، جميعهم يبدون عرفانهم بفضله، أتظنين فعلا أنك مستعدة للرحيل خلال خمس دقائق؟ سأحضر مفتاح السيارة الجيب من فهد»

نظرت سوزى إليه «بمناسبة الحديث عن الأفضال، ماذا تدين لفهد بمعروف؟»

نظر إليها وفى عينيه تعبير لم تفهمه «عقلك ملىء بالشكوك

www.liilas.com

أكثر مما ظننت لكن فى إجابة جادة على سؤالك ، هو لا يدينى بأى معروف ، هو مجرد رجل لطيف »

كان صعبا عليها أن تعرف من منهما القائد ومن المهنى ـ من الشيخ ومن فرد القبيلة ؟

فى رحلة العودة إلى عمان كان الظلام شاملا قبل وصولهم المدينة ، وأثناء الرحلة شاهدت البدو وجالهم وخيامهم التى تفترق عن الرمال المحيطة بهم كان نات عليا بالمتعلقة ويبدو أنه قضى وقتا فى اكتشافها ، وعلقت هى « أظنك قلت أنك جئت فى عمل خاص بالكمبيوتر »

« جئت هنا من قبل »

وعندما سألته عن تفاصيل عمله تحدث بطريقة ممتعة عن المبادىء الأساسية لتشغيل الكمبيوتر ، ولم يعلق بذاكرتها سوى صورته وهو يقود السيارة الجيب ، صورته بجوارها ، وشعره الطويل يلامس ياقة قميصه الأزرق ولاحظت تكشيرته وهو يركز لتخطى سائق إعترض طريقه ، وتجنب وتفادى سيارة لورى فى مواجهته ، عندما وصلا المدينة ايقظها ، كان المرور مزدحما ، وعندما حددت له الحى الكائن به الفندق لم يحتج لارشادها فهو يعرفه ، أوقف السيارة أمام الفندق ، وفتح لها الباب ، وقادها إلى المدخل وبدء تلامس ظهرها ، وشعرت بالراحة فى صحبته ، ظنت للوهلة الأولى أنها المرة الأخيرة التى تقابله فيها ، تحدث مع موظف الإستقبال بالعربية وناولها مفتاح غرفتها « نامى جيدا » هذا كل ماقاله وذهب .

أمسكت بذراعه محاولة إيجاد الكلام الملائم لشكره ، « نات .. لاأدرى كيف أشكرك .. أنت فى غاية الطيبة ، شكراً على كل ماقعلته لى .. »

وضع إصبعه فوق شفتيها « فى أى وقت ياحلوة ، والآن إذهبى إلى سريرك »

عندما خرج وجدت نفسها تنظر عبر الباب الزجاجى ، لكنه إختفى ، ولم يكن هناك داعى أو مبرر للقاء الثانى .

www.liilas.com

الفصـــل الثالث

مسألة ثقة

كل ما تمنته سوزى أن تغلق باب حجرتها حتى يحين موعد سفرها بعد ستة أيام، لن تخرج من باب الفندق، لن تتحدث مع موظفى الفندق، لديها ما يكفى من النقود لدفع فاتورة الفندق؛ والعودة إلى المطار، ولو عاشت على إفطار الفندق لإستطاعت مواصلة تجربتها، بمجرد عودتها لن تسافر أبداً للخارج لأى مكان.

أحداث اليوم السابق جعلتها تعتقد أن الأردن هو البلد الوحيد الملىء بالأخطار بالنسبة للسائحات الغير عابئات، والتى كان من حظها هى دونا عن كل السائحات هى سوزى ماكلارن أن تصيبها تلك المخاطر، وكان قرارها يعنى أنها ستكون حبيسة غرفتها فى الفندق، طيلة الساعات المائة وأربع وأربعين القادمة. وهى لا تدرى كيف ستقضى الساعات الأربع وعشرين كل يوم، ومن المستحيل أن تنام طيلة اليوم؛ فعندما تركتها كاترينا كانت قد قررت مشاهدة بيترا ــ وهى الهدف الأصلى لرحلتها ــ ورأت أن المشاركة فى فوج سيّاحى منظم هو أسهل وسيلة رغم تكلفته. وقررت أن تقضى بقية رحلتها فى

مشاهدة عمان على قدميها والإكتفاء بالأطعمة الخفيفة إقتصادا للنفقات، لكن كل ذلك قبل أن تقابل المرشد السياحى الذى حاول إغتصابها.

غرفة نومها صغيرة جدا، بها حمام خاص، وهذه ميزتها الوحيدة، الغرفة التى كانت تتقاسمها مع كاترينا كانت أفضل، لكنها لا تستطيع دفع إيجارها وحدها، والآن هى جالسة. فى سريرها ودفتها بين ركبتيها، وترى صورتها فى المرآة المعلقة بجوار التريجة وضوء الشمس يسطع منعكسا على سطح المرآة، ولقد تناولت إفطارها، وهذا يعنى أنها ستقضى الأربع وعشرين ساعة القادمة بلا طعام، يمكنها شرب الماء لتخفيف حدة الجوع، وبعد عشر دقائق قررت مغادرة السرير، وأخذت حماما باردا، واكتشفت نسيان المنشفة فى غرفة النوم، وتركت قدماها المبللة أثارها على الأرضية، لكن لا يهم فأمامها اليوم والليلة بطولها للتنظيف، إرتدت ملابسها الداخلية وقميص مفتوح، فلا حاجة لارتداء ملابس لكنها لا تريد البقاء عارية فى حالة مجىء أحد عمال الفندق لتنظيف الغرفة، كانت جالسة على حافة السرير تمشط شعرها عندما سمعت دقات على الباب فالغرفة بلا تليفون، وتعجبت بعصبية هل جاء المشرف ليتساءل عن سر إختفائها، ثم أكدت لنفسها أنهم لم يلحظوا، حتى لو لاحظوا ماذا يهم، الغرفة غرفتها طالما تدفع إيجارها، تكررت الطرقات على الباب.

«آنسة ماكلارن؟ كان صوت رجالى لأحد عمال الفندق»

«نعم؟» أجابت بتردد

«آنسة ماكلارن هناك زائر لك تحت»

منتديات لياسمين
www.liilas.com

إنتابها الحيرة هل هي خدعة لتفتح لهم الباب ـ ربما الرجل ليس من عمال الفندق، حتى لو كان منهم فلا ضمان لتصرفه بعد ما حدث أمس، أي شيء يمكن توقع حدوثه «أنا لست منتظرة أحد، ليس لي أي زوار» لم يكن صوتها بالثبات والحسم الذي توقعته»

«يقول أن الأمر هام! هو رجل إنجليزي»

لو كانت عبارته الأخيرة تبعث في نفسها الأمان، لكن أثرها كان معاكسا، فهي لا تعرف أي رجل إنجليزي في عمان، ربما تكن خديعة.

في لهجة قاطعة «لا أريد رؤية أحد الآن، لم أرتدي ملابسي بعد» قالت لنفسها ربما أخطأت التعبير، لكن عموماً لن أفتح الباب.

«لكن يا آنسة ماكلارن..»

«لا أريد رؤيته؛ قل له إرحل!»

لم ينطق العامل بحرف، وبقيت سوزي حائرة عندما أدركت فجأة احتمال كونه نات لكنه لم يذكر لها عن عودته للقائها، ولم يكن واثقا من بقائه في عمان، بعد دقيقتين سمعت طرقات الباب ثانية، ارتدت بنطلونها الجينز بسرعة وفتحت الباب، وكان واقفا مستندا بذراعه بجوار الباب تذكرت شعره الأشقر اللامع، لكنها نسيت تلك العيون العسلية الجريئة التي مسحت أرجاء الغرفة ثم ركزت في عينيها، وتذكرت بقلق سريرها غير المرتب وملابسها المنثورة فوقه ومازالت آثار قدميها المبللة تغطي الأرضية سألها بأدب «نمت كثيرا؟»

«نوعا ما»

«أتسمحين لي بالدخول؟»

«حسنا، نعم أظن ذلك»

«تقصدين أنني أسأت لسمعتك عند مدير الفندق؟»

كان موضوعا شائكا، وهي ليست مستعدة للجدال «لا تقل هذا، ربما تظن أن الأمر مضحك، لكنني لا أظن ذلك»

«هذا ما جئت للحديث بشأنه معك» حدق في السرير «ربما أدخل؟» دون انتظار إجابة، ازاح كومة ملابس وبطانية وجلس وجذبها من يدها لتجلس بجواره، كان يراقب تغييرات وجهها وهي تقاومه «الآن لا تغضبي مرة أخرى، إجلسي على الأرض لو أردت، رغم لا ضرورة لذلك ولا مكان فسيح»

سحبت يدها ولم تقل شيئاً واستطرد هو «ليس من الفنادق الضخمة أليس كذلك؟»

«هو فندق جديد»

«كم تدفعين؟»

«لدي من النقود ما يكفي لدفع فاتورته»

«أهذا كل شيء؟»

«لا، ويمكنني استئجار تاكسي للمطار» وتجنبت نظراته «ولن أشاهد شيئا بعد ذلك»

«ياه؟»

هذه المرة تلاقت عيونهما «لقد استمعت لما قلته، كما تعرف.. عن الفتيات الإنجليزيات اللاتي يتجولن بملابس مكشوفة»

«ما الحل الذي وصلت إليه.. تبقين في غرفتك لحين سفرك؟»

تورد خدودها ربما يرشده لمعرفة أن تخمينه صحيح. لكنه واصل حديثه كعادته عندما يسحب السجادة من تحت أقدامها

www.liilas.com

« لا تقفى هكذا مثل التلميذة أمام ناظر المدرسة ، تذكرينى بابنة أخى رغم أنها لم تعد تلقى بالا لسلطتى ، يبدو أن قطباعك عنى سيء « أمسك بيدها » « إجلسى ؟ »

بدون كلام ، جلست بجواره على السرير تركت مسافة محترمة تفصل بينهما . ولم يتحرك ولم يترك يدها ، كانت قبضته صارمة وحارة ، لم تكن تحمل أى إمارة تهديد لكنها مهمومة بالإقتراب ولمسته ، وهو يراقبها « هذا أفضل ، كم تستغرقين من الوقت لجمع حاجياتك ؟ »

« لكن ... » نظرت إليه فى دهشة وابتسامة باهتة ارتسمت على جانبى شفتيها لكن عيناها كانت تؤكد جديته وقال « أمامك خياران ، إما أن تقضى وقتك هنا بلا جدوى لمدة أسبوع وتشتعل أعصابك كلما طرق أحد الباب ، أو تقضى الأسبوع فى الأردن بصحبة مهندس كمبيوتر وحيد يقيم فى شقة واسعة أتاحها له صديقه هل ستجنين معى ؟ لا يبدو لى أنه قرار صعب » .

« لكن يا نات لا أستطيع ! »

« لما لا ؟ السائحة الفقيرة لن تجد متعتها بمفردها ، لكن شخصين معا قد يفكران فى تدبير الأمر » وأضاف مسرعا « قبل أن تصلى إلى النتيجة الخاطئة بشأن تخطيطى الشرير لإصطيادك ، أريد أن أوضح لك عدم وجود أى نيات سيئة ـ فيما عدا تفكيرى فى اكتشاف الصحراء معا . كان يبدو عليك أمس أنك معجبة بها ، هل شاهدت خيمة بدوية من داخلها ؟ »

هزت رأسها ، وهى متشككة ، لو تركت لنفسها الحرية لشعرت بالإثارة لهذا العرض ، لكن يبدو أنه قرار خطير لو إتخذته ؛ وواصل حديثه « لى صديق لديه خيمة بدوية ، ربما

يدعونا لشرب الشاى »

لدهشتها استغرقت فى الضحك ففكرة أن يوجه بدوى جاهل الدعوة لتناول الشاى والسندويتشات الساعة الرابعة مساءاً بدت فكرة عبثية ، لكنها احتجت « أعنى ما أقول ! هم يتقعون الشاى مع الهال وستمتعين بشربه ، الخيمة الخاصة التى أفكر بها قريبة من حصن قديم كان يستخدمه لورانس العرب ، فى وادى رائع »

صار بينهما صمت مفاجيء ، وأطلق نات يدها ، وهى جالسة على حافة السرير تنظر للأرضية . العرض مغرى جداً لها ، لكن حتى فى أشرس أحلامها لم تظن أنها تخرج مع رجل غريب كلية عنها لتقيم معه فى شقة لم تراها أبداً . على الأقل الفندق أكثر أمناً وأماناً ، لن يحدث لها شيء ، ومن الغباء المخاطرة بلا داعى ومن ناحية أخرى ، بدت فكرة قضاء اسبوع بأكمله حبيسة غرفتها بعد الدقائق ما بين النوم واليقظة ، كانت مرعبة ، غالبا أى شيء أفضل منها .

وها هو نات ، ماذا سيحدث لها لو قررت أن تثق به ؟ اغتصاب ؟ قتل ؟ لا يبدو إحتمال حدوث ذلك ، ولا يبدو عليها سيماء الضحية المألوفة لتلك الحوادث ! بالإضافة لكونها مرتاحة له ، وبدأت تتلمس جاذبيته ، لو إستطاعت أن تثق به ، لن تجد صعوبة فى قرارها ـ هو خيار استراتيجى بين قضاء ستة أيام بائسة وحيدة ، أو قضائها فى أداء ما تحبه ، لكنه مستحيل .

هب نات واقفا « قبل أن تؤكد زيارتى لك هنا شكوكهم السيئة عن الفتيات الإنجليزيات ، خصوصاً المدير ، سأتخذ نيابة عنك قرارك ، أعرف فيما تفكرين »

وقف محملقا فيها ببنما هى خافضة البصر « أعطنى نقودك ،

www.liilas.com

لأدفع الفاتورة بينما تحزمين حقائبك، سأنتظرك فى اللوبى، لكن لا تتأخرى، وإلا هربت بغنائمك »

« لن أتأخر.. »

« لو وثقت بى يا سوزى، لن تكن هناك أنصاف حلول، إما ثقة كاملة أو لا » تناول ذقنها بين أصابعه ورفع وجهها لتتقابل نظراتها « لو ابنة أخى وجدت نفسها فى هذا الموقف، كنت أتمنى أن تقابل جنتلمان فارس انجليزى مثل عمها نات ليساعدها، لكن أليس ليست متشككة مثلك ـ يمكنك إختيار غرفة فى الشقة، ويمكنك البقاء بها طيلة اليوم لو أردت، لكنى أفضل أن تخرجى معى لإكتشاف الصحراء، ربما ليس معى نقود كثيرة لكن لى أصدقاء كثيرون وفهد مستعد لإعارتى السيارة الجيب تحدثت معه تليفونيا فى الصباح، إذن ماذا عن هؤلاء البدو؟ »

كان يعاملها كأنها فتاة مراهقة صغيرة، لكنها رأت كونها تريد ذلك، ليس بإمكانها تكوين إنطباع إيجابى، ولو استطاعت أن تثق به، وقبول دعوته ـ حتى لو كان سيعاملها كابنة أخيه الصغيرة ـ هذا أفضل كثيراً. إذن؛ للمرة الأولى فى حياتها، تدخل سوزى مغامرة محسوبة. كان دمها فى منتهى البرود وهى تفكر فى إحتمالات ما سيحدث لها لو كانت فكرتها عن نات خاطئة، لكن بدون وقت لتغيير رأيها، تناولت حقيبتها وفتحتها وأخرجت حافظة نقودها، نظرت إليه قبل أن تضعها فى يده « لو قلت كلمة واحدة عن غبائى لإعطائك الحافظة لن أتحدث معك ثانية! »

وهو يقطب جبينه « بكل هذا الثراء أتظنين أننى لن استمع لك؟ » وغمزها بإصبعه فى خدها « سأنتظرك نصف ساعة

فقط »

هزت كتفيها « لن يستغرق حزم الحقائب وقتا طويلا، لكن يجب تجفيف شعرى »

إستقرت عيناه على رأسها الملفوفة بالمنشفة « لا أظن أن الشعر المبلل لن يغير شيئاً من سمعتك الآن لدى موظفى الإستقبال »

« تقصد السمعة التى سببتها لى! » إندفعت بحماس مفاجىء، ربما إجتاح نات حياتها، لكنها لن تدعه يظلها سهلة المنال ضعيفة الحول، أخبرتها نظراته أنه فهم مغزى إجابتها، وقال « نصف ساعة ـ لا أكثر! » وصفق الباب خلفه.

رتبت حقيبتها، وبدأت تجفف شعرها، فهى لم تحضر معها مجفف الشعر وبدأت تسوى مكياجها الخفيف حول عينيها وشفتيها، فاللون الأسود حول جفونها أظهر غمقة وعمق عيناها الزرقاوين، وأحمر الشفاه أضاف لجمالها ونضجها، بدونه كانت ستصبح أصغر سناً.

تطلعت لصورتها فى المرآة، فهى ليست واثقة من رغبتها ألا يراها كابنة أخيه الصغرى، فهو يعاملها كما لو كانت صغيرة أصغر مما هى فى الحقيقة، ولكنها بدأت تتمنى ألا يراها كفتاة بلا خبرة صغيرة يقوم بواجب حمايتها، أكثر من كونه رفيق.

كانت راضية عن مظهرها؛ بنطلونها الجينز يظهرها وكأنها طالبة، ومع ذلك يظهر ساقيها النحيلان الطويلان، وبلوزتها لطيفة، وإرتدت بعض الحلى التى لديها سلسلة حول عنقها، وخلخال عربى كانت اشترته من البازار مع كاترينا، كان شعرها يجذب الأنظار لعنقها الطويل النحيل، سمعت طرقات على الباب، وصوت عامل الفندق « آنسة ماكلارين؟ الرجل

www.liilas.com

الإنجليزى طلب منى نقل حقيبتك، وهو كذلك؟ أخبرنى بذلك!»

فتحت الباب، حاولت إظهار برودها وجديتها «شكرا، هى حقيبة واحدة» دخل الغرفة بفضول واضح، وحلق فى السرير غير المرتب، والتقت عيناها بنظرته ببرود «شكراً لك، سأنزل خلال دقيقة» ووقفت حتى خرج من الغرفة، ونظرت إلى المرآة بعبثها شعور بالذنب إن كانت قد تورد خدودها خجلاً، فعلا كانت هكذا.

إنتظرت حتى إختفى لون الإحمرار الوردى من خدودها، وتفحصت الغرفة للمرة الأخيرة، وتأكدت من عدم نسيان أى شىء وعندما وقفت أمام المصعد، وهبطت وجدته فى إنتظارها، حقيبتها تتدلى من كتفه، رفع حاجبيه وهو ينظرها «وأنت بمظهرك هكذا تدعين سمعتك هنا، من المفترض أنك إبنة أخى وليست عشيقتى»

«هل قلت لهم هذا؟»

«قلت لهم ماذا أنك لست عشيقتى؟ هل سيصدقون كلامى؟ أنت تعطين إنطباع أكيد بهذا، آسف، هل فقدتك هناك؟» هجته الحانية أعطتها ثقة بنفسها، وكشرت فى وجهه «أحيانا تجعلنى أريد أن أضربك»

«هذا يشبه كلامى الپس ـتعالى» وضع يده خلف عنقها وجذبها إلى المدخل وسألته «كيف تصرفت بأموالى التى جمعتها بجهد جهيد؟» وهى تحاول تجاهل لمسته لها، «مؤكد أننى لم أهرب بها لدى أموال كافية، رغم أنك قد تتشككين لكننى خططت لأخذها لتخفيض إيجار الغرفة»

بينما يقود السيارة بمهارة عبر ازدحام المرور، فكرت هى،

فهى لم تفكر أبداً فى إيجار الغرفة، الخروج معه ربما أغنى شىء فعلته فى حياتها لكن من ناحية أخرى، لو ثبت أنه طيب ولطيف كما يبدو، ستكون ضربة حظ لها، حاولت دراسته بعناية، وبنظرات مختلسة، حتى إلتقت نظراتها، ولمحت متعة فيها. فهو يعرف تماماً ماتفعله. لافائدة من القناع والتظاهر ـ كشرت، وحولت انتباهها ناحية الطريق، معظم الطرقات واسعة ومعهدة حديثا، لكنه ثانت يعرف الطرق الخفية جيدا، وسار عبر منطقة طرقاتها محفوفة بالأشجار، معظم المبانى فخمة ولها بلكونات، يبدو أنها حسى رجال الأعمال والأجانب، والعمارات لها حدائق.

كانت الشقة التى يقيم بها والتى تخص أحد أصدقاء فهد فى الطابق العلوى فى عمارة فخمة، ولها حديقة علوية «روف جاردن» وأخبرها ثانت «لقد طلب منى رعاية النباتات» وجعلها تشاهد الشقة، وغرفها، بها ثلاث غرف نوم لتختار إحداها، بالإضافة إلى غرفة نوم رئيسية، يبدو أنه يستخدمها، تركها تختار بينما أجرى إتصالاته التليفونية فى غرفة الجلوس الواسعة المضيئة بنوافذها العديدة وأرضيتها المغطاة بسجاد فاخر. وأثاثها لونه بنى تقليدى، واللون الأبيض والأسود المفضل لدى العرب، وفنادیلها وزهریاتها تبدو فى غاية الفخامة.

إختارت سوزى أصغر الغرف الثلاثة رغم أنها أكبر من غرفتها بالفندق أربع مرات ولها ميزة كونها بجوار الحمام، وكانت تشكلت أنه سيشاركها فيه، لكن لم تجد أى خصوصيات له داخله، يبدو أن له حمام خاص بغرفته، كانت ستائر نوافذ غرفتها بيضاء هفهافة تسمح بدخول الضوء، وبها جهاز تكييف، والأرضية مغطاة بسجاد ناعم لونه بيج ورمادى، ويبدو الثراء

www.liilas.com

مرسوما على كل جدرانها، وتخيرت ماذا يعمل صديق فهد، مؤكد ذات محظوظ جدا بعلاقاته خلال عمله.

علقت ملابسها في دولاب يغطى الجدار بأكمله، وتأملت ملابسها التى لم تملأ فراغ الدولاب، فلديها فقط فستانين وبنطلونين وبلوزتين، بعد أن إنتهت إستلقت على حافة السرير، وتحت المفرش الضخم الذى يغطيه، وإنبهرت فهى تعلمت دائما إقتصاديات المنزل وأشغال الإبرة والتريكو فى المدرسة والآن لاتدرى كيف صنع هذا المفرش وسمعته «سوزى؟»

«أنا هنا!» كان نائما عند الباب وإعتدلت جالسة على الفور «ماذا تفعلين؟»

«فقط أتأمل نوعية المفرش لقد إنتهت من تسوية حاجياتى»

«جيل!» سار بحاذاة السرير ونظر إلى المفرش «هذا من بلوخستان فى الواقع، هو جيل جدا»

سألته «ماذا تعنى ــ هل يعجبك؟» إنحنى ومرر يده فوق سطحه «أعنى أنه جيل جدا ــ من النوع الذى يتمنى الناس إمتلاكه»

«كيف عرفت أين صنع؟»

«أنه من النوع الذى يصنعونه وبألوان الوقت الحاضر، أنه صناعة يدوية وبألوان تستخرج من النباتات، هل يعجبك؟»

«تعنى المفرش؟» وهزت رأسها «لا أدرى، أنها أول مرة أرى شيئاً كهذا، كيف عرفت هذه الأشياء؟»

«لدى اثنين، وهذا يجعلنى إهتم بهم»

«هل هى غالية الثمن؟»

حك أنفه بإصبعه، ونظر إليها متأملا «هذا يعتمد على مدى

تقديرك للقيمة، بالنسبة لأمثالنا، نعم غالى جداً، لماذا ــ هل تفكرين فى شراء واحد عندما تجرى الأموال بين يديك؟»

«لا! طبعاً لا! هل تظن أنت؟» تنهد «سوزى، أنت رائعة» إختلطت مشاعر القلق بالمتعة بالعناد لكنها لم تواجه نظراته، لديه العذر ليعاملها مثل إبنة أخيه، وقال لها «عندما تتورد خدودك تكونين رائعة ألم يخبرك أحد بذلك؟»

تأثرت جدا، ونظرت إليه وهى مشوشة، ضائقة من إنجرافها فى الدوامة، كانت هناك لحظة صمت، وبوعى نصف مفقود بدأت تدرك كم هو لصيق بها، هى معه بمفردها فى شقة واسعة، وهو فى غرفة نومها وفجأة نظر إليها بطريقة حارت فى تفسيرها لكنها ليست شهوانية، فى تلك اللحظة حدث شىء ما لسوزى، لم تدرى سبباً له ولم تفهمه، قبل ذلك، كان تراه مسليا مجرد شخص غريب، ربما طيب يبحث عن التسلية، ولم تكن معنية بالتفكير فى تفاصيل كثيرة عنه باعتباره «آخر» غريب.. لكن بعد ذلك.. حسناً لم تكن واثقة مما تراه، لكنها وجدت نفسها تتفحص وتتأمل شعره الذهبى المنسدل فوق جبهته، وابتسامته ربما يكون أكثر رجل قابلته وسامة وأناقة، وتأملت غباءها لعدم إدراكها ذلك من قبل، ربما الرعب الذى حدث لها فى مدينة بيترا، والصدمة التى عاشتها هى السبب، ربما كانت عمياء لحظتها! هو فارس أحلام أى فتاة، حسنا، لقد كان متخفياً فى الزى العربى وقتها، كان صعباً أن تدرك سوى حسه المرح والفكاهى الذى عاملها به كفتاة صغيرة مراهقة، والآن يجب أن تتقبل حقيقة كونها محظوظة جدا لوجودها معه، وأن كاترينا بتخليها عنها قدريا فعلت معها معروفاً.

www.liilas.com

كان ينظر إليها ؛ عيناه العسلية ساهمة ولكنه تحول فجأة واقترب منها، ظنت أنه سيقبلها لكنه لمس خدها واتجه إلى الباب، لم يرى تورد خدودها، لو عرف ما كانت تتخيله، ماذا كان سيظنها ؟ بعد كل الضجة التى صنعتها عن العرب، وكل الشكوك التى أثارتها حوله هو وصديقه فهد، وخصوصا هو بالذات !!

شعرت بإحباط ممزوج براحة عندما لمس خدودها فقط، كانت فى منتصف طريق رغبتها له، ولكنها تنفست الصعداء، فهى لا تدرى أين ينتهى بها طريق الرغبة !!

قال لها «اتحبين الهامبورجر؟» أومأت برأسها، وأدركت أنها خارج الغرفة، خرجت من سريرها وتابعته وتفحصت منظرها فى المرآة وهى فى طريقها خلفه، وقالت «نعم، لماذا ؟» «أظن يمكننا تناولها فى مطعم هامبورجر أمريكى، يقدم أيضا وجبات سريعة، أيمكنك صرف باقى الشيكات السياحية غداً ؟»

«نعم لماذا ؟»

«لأننا، يا صغيرتى العزيزة، نعيش فى قصر ولدينا سيارة، ونحتاج لنأكل وأيضا السيارة ملكنا» سارت خلفه إلى المطبخ «أنظرى» فتش جيوب بنطلونه، وجيوب الجاكت، وأخرج مجموعة عملات معدنية وأوراق مالية ووضعهم على المائدة «هذا إسهامى فى نفقات معيشتنا المشتركة، ربما أقل من نصيبك.. وهذه..» وأخرج حافظتها «هذه لك»

تفكرت، صرف كل الشيكات فجأة يبدو مغامرة رهيبة، ماذا لو لم يكن نزيها ؟ وقالت : «لكن لو أعطيتها كلها لك، كيف يمكننى استئجار تاكسى إلى المطار؟»

«لمس الحافظة، وتنهد «سوزى وعدتك بأن أوصلك للمطار، لست واثقاً من تخمين ماذا دار فى ذهنك فى غرفة النوم منذ دقائق، لكن مهما كان لقد قررت أن تثقى بى، لو لم تثقى بالناس فالحياة لا تستحق أن تعاش صدقينى. لقد رأيت كثير من المحتالين والمراوغين فى عالم الأعمال» أصبح صوته حادا للحظة، وفجأة لانت لهجته «أعرف أننى جذرتك من القناصة العرب لكن لو لم تستطيعى التفرقة بين المختصين والأوباش وبين المهندسين المهذبين، إذن لا فائدة منك، والآن هل ستثقين بى، نعم أم لا ؟، لو لم تثقين بى قلن نقضى وقتنا ممتعا معا، وربما تعودين إلى الفندق»

لم تزد إجابتها عن «نعم»

«انظرى لى وقولى نعم»

أجبرت نفسها على النظر فى عينيه، وقالت «نعم»

«فتاة طيبة !» ومسح أرنبة أنفها بإصبعه، ولفها ناحية الباب «أولا سنتناول الهامبورجر، بعد ذلك نخطط لجولة فى الصحراء»

www.liilas.com

الفصل الرابع

لورانس العرب

تناولوا ستدويتشات الهامبورجر فى الشارع ورغم إحساسها بالجوع لم تأتى على كل الستدويتشات، بينما أكلها نات، وسألها «أتريدين العودة لشراء المزيد، يبدو أنك لم تشبع بعد»

تطلع متأملاً إلى السماء «لا» حاولت التركيز فى تقطيبة وتأمله حتى قال لها «إنسى، هناك قليل من المنطق فى عقولنا»

قالت له «على الأقل أفهم ألعاب الكلمات أختى الصغيرة جودى مغرمة بها، عمرها تسع سنوات، وتحفظ نكات كثيرة «معظم الناس لديها نكت، ربما أقول لك إحداها فى طريقنا إلى المتحف» «هل ستذهب إلى المتحف؟»

تناول كتفيها وجعلها فى مواجهة الإتجاه المعاكس، ناحية الشقة «أولاً ستذهب وتلقى نظرة، ونشاهد مسرحية عربية ونرى كيف تكون، وبعد ذلك نذهب إلى متحف آثار قريب من المسرح ألم تشاهدينه؟»

عادوا إلى الشقة، كان متعجلاً وكانت سوزى قانعة بخططه تماماً، أصبحت مقتنعة الآن أنها لا تجيد إتخاذ قراراتها

بنفسها «المسرح؟ نعم ذهبت إليه مع كاترينا فى اليوم التالى لوصولنا، إنه مسرح رومانى»

«أنا مندهش لإهتمام صديقتك كاترينا بالثقافة ـ أم إعتبرته مكانا لإصطياد السياح المليونيرات؟»

شعرت بضرورة الدفاع عن صديقتها الغائبة «كانت مغرمة بالمجىء للأردن فرأت عن بيترا، وكانت تريد مشاهدتها فعلا، وهى التى جعلتنى أجىء معها»

«منذ متى تحديدا وهى مهتمة بالآثار الثقافية؟»

«ماذا تعنى؟»

«لنقوها بطريقة أخرى، منذ متى قررتم القيام بالرحلة؟ وكم مدتها؟»

«لمدة عشر أيام»

«سوزى البائسة!» وضع ذراعه فوق كتفيها، «أتظنين أنها كانت ستذهب إلى بيترا؟»

«لا أدرى، بوب كان سيأخذها إلى العقبة وربما كانا سيسافران إلى إسرائيل»

«إسرائيل خارج دائرتنا، أخشى أنهم هناك يحسبون إيجار الفنادق بالساعة!! لكن يمكننا الذهاب إلى العقبة»

إلتفتت إليه وعيونها لامعة «لورانس العرب ذهبت هناك؟»

ضحك «نعم، لكن ليست مثل «لورانس العرب» الآن، هناك كثير من ناقلات البترول، لكننا يمكننا السباحة هناك، ومشاهدة الأسماك المثيرة والمرجان ويمكننا التنزه فى قارب له قاع زجاجى هل جربت هذا؟»

هزت رأسها «لا أصدق كل هذا!! لم يحدث لى أبداً،

منتديات لياسين الثقافية
www.liilas.com

سوزى ، التى تستيقظ لعملها فى السابعة كل يوم وتجلس أمام آلة كاتبة حتى موعد نهاية العمل ، أبعد مكان ذهبت إليه مع العائلة كان باريس وشاهدت الأسماك فى حديقة حيوان لندن ، هل أنت واثق يمكننا أكل السمك المرجانى ؟ »

« أتعرفين ، أنها أول مرة تنطقين كلمة « نحن » ؟ أيعنى هذا أنك لم تعودى تعتبرينى لص محتمل أو مغتصب ؟ أم أننى مخطىء فى استنتاجى ؟ »

إحتجت « نات ! تعرف أننى لم أفكر أبداً هكذا ! »

إتهمها « تعرفين جيدا أنك فكرت هكذا ! ، لقد نظرت إلى بإعتبارى أحاول إستدراجك للإغتصاب منذ أول لحظة تلاقت عيوننا ، وفهد المسكين كان حظه أسوأ ، ربما لأننى تحدثت الإنجليزية بطلاقة إخترت الركوب معى على الحصان ــ لا تحاولى الانكار »

« وهو كذلك ــ لن أنكر ، لكن لى العذر »

« إذن نصيحتك لى ألا أليس الغصرة العربية فى محاولتى القادمة للتشبه بـ لورانس العرب ؟ لكن ، عموما ، بخصوص مسألة تناول السمك ، الأموال لن تحل المشكلة ، يكفى الإتصال بفهد ، وهناك صديق لأخيه أو ما شابه »

عندما عادوا إلى الشقة ، قامت سوزى بسقاية الزرع حسب تعليماته بينما أجرى هو إتصاله التليفونى ، ثم ركبوا السيارة إلى المتحف فى وسط عمان كان صغيرا ، لكنه مثيرا لإهتمام سوزى وانبهرت بتعليقات نات وسألته « كيف تعلمت هذا ؟ أنت أفضل من الكتاب الإرشادى ! ومتى تعلمت العربية ؟ »

« ياه ، لقد إلتقطتها »

كان تعبير وجهه ينضح بالتواضع مما أضحكها وقالت

« أظنك لم تجبينى بإجابة مفهومة ، فلو بإمكان أى شخص « إلتقاط » أى لغة مثلك ! لكن بنزاهة ، يانات ، أليس كل هذا رومانسية ــ إنه مثل شىء يحدث فى ليالى ألف ليلة وليلة العربية ! لا أصدق أن ما يجرى حقيقى ، وأنا هنا ، أشاهدها ! »

تظاهرت نات نحوها ، وعلى وجهه تعبير غامض وللحظة لم يقل شيئاً ، وعندما تحدث كانت فجته جادة « أتمنى ألا يخيب الواقع رجائك ، فلا تأملى كثيرا »

« لن أطلب ، ولم ، لكن عندما لاتتاح لك فرصة الخروج من إنجلترا إلا نادر وتأتيك الفرصة تجد أن كل شىء رائع » .

« حتى ذلك العربى البذىء الذى حاول إغتصابك بين صخور بيترا ؟ »

تلاشت إبتسامتها « حسنا ، ربما لا ، أعنى وجودى هنا .. » كانت تريد أن تضيف « وجودى معك » لكن شيئاً ما منعها بدلا من ذلك إستدارت متجهة إلى السيارة « سوزى ؟ »

إلتفتت لتجده واقفا مكانه « آسف لم أظن أننى ذكرتك بما حدث ، تعالى لنرى البازار فإما السعادة أو الشقاء !! »

« ماذا تعنى ؟ »

بلون توقع ، تناول يدها « أعنى أنهم سيتلمسون جسدك ويتحسسونه وتتطاول أجسادهم للإرتطام بك وتتعرضين لكل الإهانات فى الدقائق الأولى ، ولو عرضتك لهم بثمن ملائم ربما إشتروك ، لكن بعيدا عن ذلك ، طالما بصحبتك سائح طويل نسبيا فهذا لصالحك ، ربما يعطيك بعض الثقة التى إفتقدت لها فى بيترا ، لا أريد أن أرى الرعب فى عينيك ، لك أجمل إبتسامة وأريد مشاهدتها طيلة الوقت ، البازار مكان جميل جداً ــ ربما تستمتعين برؤيته » .

www.liilas.com

عندما دخلوا البازار تأكدت من رقة كلامه، وإعتادت على التحرش بها وتلمس جسدها، وبدأت تتسلى بالتخلص منهم وظلت لصيقة بجانب نات وهما يسيران وسط الزحام والخيام الملونة، هناك نساء قليلات، بعضهن يلبسن الحجاب الأسود ويتجنبن نظرات الآخرين، بينما تركزت الأنظار عليها، لو لم تكن مع نات لشعرت بالخطر، فالنظرات تفصح عن ذلك. ساومت لشراء عقد فضى وساعدها نات، وتوقف مرتين ليتحدث بالعربية فى أحد المرات ضحك وطوقها بذراعه وضمها وسألها «أتعرفين ماذا يقولون؟ إنه عرض سيء ــ لكن لم أقرر بيعك بعد!؟ هل إكتفيت بمشاهدة السوق؟»

«لقضى بعض الوقت من فضلك لقد وصلنا إلى بائعى التوابل»

وهو يداعبها «أهذه هى الفتاة التى كانت تخاف الخروج من باب غرفتها بالفندق؟»

«أووو!»

«ماذا حدث؟»

«لقد قرصنى أحدهم مرة أخرى»

«كيف لم تعرفين أنه أنا؟»

«نات!» نظرت فى رعب «لست أنت؟»

«لماذا كل هذا الرعب؟ ألم تستمعى بكثير منها منذ دقائق؟»

«نعم، لكن لأننى كنت أظنها من العرب»

بدأ يضحك، ولاحظت بعض العرب ينظرون إليهم «إذن لو فعلها أى عجوز عربى لا يهم، لكن لو فعلتها أنا، لا؟»

«تعرف أننى لا أقصد هذا، نات نحن نجذب أنظارهم»

مازال يضحك «ليس شيئاً غريبا، ماذا تعنين ــ أنه أمر عادى منى، لكن ليس فى السوق العربى، أين تفضلين بالضبط؟ العودة إلى الشقة؟» لم تستطع ملاقاة نظراته، لقد تغلغل عامل شخصى فى الحوار فجأة، وهى غير مستعدة لمجاراته وقالت «مجرد أننى لم أتوقعه منك هذا كل ما فى الأمر، أليس كذلك؟»

مازال يطوقها بذراعه، وبدون سابق إنذار وجدته يضمها نحوه «لا» وابتسم «ولكن هذه هى» قبل أن تقاومه مرر يده ولدغها فى خدها، وهى تنتفض قليلا، كان قد خطف قبلة من فمها، قبله سريعة كأنه يقبل ابنة أخيه، مع ذلك اتسعت عيناها وهى متدهشة، كان هناك تجمع فضولى حولهم يضحكون ويلقون تعليقاتهم بالعربية

وداعبها نات «هذا ما تستحقينه لسوء تقديرك لى!» وتبادل التعليقات مع أحد المحيطين بهم، وتزايد الضحك، تخبطت سوزى بين الفضول والخجل وسألته «ماذا قلت له؟»

اجابها بإختصار «شيء لا يعاد، هيا لنشاهد سوق التوابل، لو تذكرت؟ بعد كل ذلك ستهدأ الأمور لفترة».

بعد فترة قرر البحث عن مطعم صغير فى شارع خلفى، موضحا أنه ارخص وأسهل من شراء الطعام والعودة لطهيه فى الشقة «هذا بافتراض، طبعا، أنك تجيدين الطهى» كان يراقبها بطرف عينيه، وعلقت هى «لو إستمعت إلى أختى بأننى لا أجيد سوى الطهى» بجدية «صحيح؟»

«طبعا؟ ويمكننى تعليمك لو أردت لتعرف كم أنا نافعة لك، مالم تعتقد بأن مكان الرجل ليس المطبخ؟»

«من قال أننى أريد التعلم؟ أظن فقط أن قليل من

www.liilas.com

إجادتك الطهي ترفع سعرك في السوق إن قررت بيعك، بعيدا عن المزاح، هل تجيدين الطهي فعلا؟»

«إنه أحد الأشياء القليلة التي برعت فيها بالمدرسة»

«ذات يوم سنعرف لكن ليس الليلة أظن يجب أن نجرب المطعم»

كانوا واقفين خارج مطعم صغير موائده الخشبية بلا مفارش، وأنواره معتمة، قال لها «تجاهلي النظرات الفضولية، ربما لم يشاهدا أبدا سائحة تحيء هنا» فعلا لاحظت أن الزبائن كلهم رجال، وكل العيون مركزة عليها، لكن تجربتها في السوق شجعتها ومع ذلك ظنت أنها أثارت غرائز الجميع.

أكلوا الكباب وسلطة الحمص المصنوعة بالطحينة وزيت الزيتون، وشرائح الخبز المقدد، شجعها نات «أكملي أكلك ربما نموت جوعا في الصحراء غداً»

«فعلا سنشاهد البدو غداً، أظنك تمزح؟»

ابتسم، وهز إصبع كفته في الهواء «طبعا وسنذهب للحصن القديم الذي إعتاد لورانس العرب استخدامه، هناك خيام البدو، وكما شاع هناك صديق لصديق لأحد أصدقائي، وهناك مخفر بوليس، وبعض العيون في الصخور»

كان صعبا على سوزي إقناع نفسها بأن هذا واقعي وحقيقي، لأن ماتتوقع رؤيته غداً بيدو رومانسيا وحالما، مازالت غير مصدقة حتى الواقع الذي تعيشه اليوم حتى وجود نات قبالتها حول مائدة المطعم لم يجعلها تصدق، حتى أمس فقط كان شخصا غريبا تماما عنها، والآن أصبح... حسنا، من الصعب تحديده بدقة!!

في طريق عودتهم للشقة، لم تستطع تخيل ماذا سيحدث

عندما يصلوا إلى الشقة. نات حريص في تعامله معها كما لو كان يعامل ابنة أخيه، وحارت في مغزى قبلته لها في السوق. هو يحب مداعبتها، هذا واضح ويتسلى بذلك، لم تعد تخافه الآن، لكنها مازالت متوجسة حائرة، كانت تتمنى وتتشوق قبلاته لها في الصباح وهي في غرفة نومها، وشعرت بسحابة إحباط لأنه أحجم عن ذلك، لكن بعد قبلته في السوق، وجدت نفسها تزيح الفكرة وهي شاعرة بالذنب.. لأنها قبلة عادية. وهي حائرة ماذا تفعل لو اقترب منها أكثر، دفعها نات لدخول الشقة، قائلاً «إذهبي إلى سريرك، نامي جيداً ربما سنقضي ليلة باكر في الصحراء، وربما لن ترتاحي»

ابتسمت «طاب مساؤك يانات، شكرا لك على كل شيء»

«استيقظت فجأة، غير واثقة في البداية أين هي، كان الضوء الساطع غير مألوفا، وغير واثقة من تحديد الساعة، حدقت في النافذة للحظة، وتناولت ساعة يدها كانت السابعة والنصف صباحا، لم تسمع أي صوت في الشقة، وتساءلت هل استيقظ نات، هي لاتريده أن ينتظرها.

أخذت حماماً سريعا، وارتدت جوارب قطنية صفراء، وقميص واسع مازال الجو بارد نوعا، رغم أنها تعلم أن الحر سيزداد في منتصف النهار، وهي تمشط شعرها تسمعت نات لكن لاأثر له، قررت البحث عنه، وجدت غرفة الجلوس خالية، رغم أنه ترك خريطتين مبسوطة على المائدة وفنجان قهوة بجوارها، تناولت الفنجان وغسلته في المطبخ «نات؟» لم تسمع رداً، قررت دخول غرفة نومه، طرقت الباب «نات؟» هل أنت مستيقظ؟ «لارد، حركت مقبض الباب وفتحته،

www.liilas.com

ودخلت لتجده مستلقيا فى سريره، تلفت فجأة «آه، آسفة، ظننتك استيقظت «وجدت نفسها تحدق فيه»، ابتسم «صباح الخير، يبدو أننى سهرت كثيراً، تبدين نشيطة ومنتعشة»، ابتسمت متمنية ألا يعتريها الخجل فهى لم تشاهد أبداً رجلاً نائماً فى سريره سوى فى الأفلام. «هناك قهوة بدون سكر، ولبن فى الثلاجة لو أردت»

«صنعت القهوة باللبن، وانتظرت حتى يخرج من سريره، «آسفة ظننتك خرجت من السرير» مازال مستلقيا فى السرير، يده خلف رأسه «متى يمكننى توظيف مديرة منزل؟ أظنك تمزحين؟» وضعت الفنجان بجواره على المائدة الصغيرة الفخمة، سألها «أتظنين، أن الأشياء الساخنة ستفسدها؟»

أجابها «لا يهمك، لن أبقيها عليها طويلاً لاتذهبى، إجلسى واكملى شرب قهوتك هنا، وسأخبرك ببرنامج اليوم»

جلست على حافة السرير «لا تبدين عصبية هكذا ــ لن آكلك»

إلتقت عيونهما، ورأت متعته المداعبة وقررت رد هجومه «أفكر فى سطح المائدة، كيف يكون موقفك لو تلوثت؟»

ضحك «نبيعها لمحلات هارودز إن كان هذا ما يقلقك!!»

تناولت رشفة من فنجانها «هذا يفسر وجود حنفيات ذهبية فى الحمام»

«يبدو أنك لا تستحسنين ذلك»

فكرت فى قول شىء غامض، مثلما تحب كاترينا، لأن ديكور الحمام فاخر جداً ومكلف، لكنها لم تستحسنه ذوقا، من ناحية أخرى، لو كان يعجبه فهى لا تريد أن تكون وقحة «كاترينا كان سيعجبها»

«هذا يعنى أنه لم يعجبك على ما أظن؟!»

«لم أقل هذا!»

«لست مضطرة للإفصاح، فهو مرسوم على وجهك، كثيرون إنبهروا به، لماذا لا؟»

«أظن أنهم أثرياء جدا، لكن هناك فقراء فى هذا البلد ــ شاهدنا متسولين فى الشوارع أمس، المال الذى أنفق على الحمام كان يكفى لإعاشتهم أسابيع»

«لديك إحساس متطهر زاهد ياسوزى ألا يمتعك الثراء والرفاهية؟»

طبعا يمتعها، بطريقة، لكن ليس هذا مهما «لا أرى سببا لإعجابى بشىء بسبب تكلفته الباهظة!»

«أوافقك تماما، لكن إنتبهى ولاتجعلى أراء كاترينا تدفعك إلى التقيض لها، أتظنى أن صاحب هذه الشقة فعلا إمتص دماء الفقراء ليكون ثروته»

«لا أظن تماما، لكن كان يجب ألا يهدر ثروته بهذه الطريقة».

«لا أظننا فى وضع يسمح بإسداء النصح له، فهو أعطاها لنا بلا مقابل»

«أنا لا أحاول إنتقاده، يبدو أنه كريم جداً مع أصدقائه»

«إذن ماذا تنتقدين، المال أم الناس الأثرياء؟»

«حسنا، فقط.. سألت عن رأيى»

«والآن أسألك كيف كونت رأيك فليست كل فتاة لاتنبهر بتلك الرفاهية مثلك» فى تحدى «أيعجبك؟»

«مثلك، قد أفكر فى وسائل أفضل لإنفاق المال، لكننى شغوف بمعرفة إن كنت لاتحبين المال ذاته أم أن كل مليونير

doode al Tabo

شرير؟»

«أعتقد أن المال له تأثير مدمر للبشر، هذا كل شيء»

وتناولت الساعة الملقاة على المائدة متحيرة كيف تغير دفة الحديث، كانت تفكر في أمها، وهروبها من زوجها وابنتها بأموالها الستة، لترافق رجلاً يقدر على توفير المتع والرفاهية لا الحب لها، ومازالت مشاعرها مكبوتة ولن تفصح عنها لتناقشها معه، ولن تخبره عن جيرالد، حدقت في الساعة لتجدها ذهبية، ومؤكد أنها ثمينة جدا، على سطح منقوش إسم سويسري، قلبتها متسائلة «هل هي ساعتك؟»

«نعم».

علقت «لم أراها في يدك» قرأت حرفي «ن.ل» المحفورين على ظهرها «ما معنى الحروف؟»

«ناتان لبرد، إسمي، ما إسمك؟»

«سوزانا ماكلارن» وهي مقطبة فن الغباء الإفصاح عن إسمها له وهو مستلقي في سريره بعد قضاءها ليلتها في شقته «لكن ألم تعرف إسمي عندما دفعت فاتورة الفندق؟»

«مجرد تأكد، ربما أبلغت الفندق بإسم مزيف!!»

«مازالت قادرة على إستخدام اسم مزيف!!»

نظر إليها مستمتعا «ممكن، لكن غير متوقع منك بحسب ما عرفتك، يبدو أنك تفتقرين لمكر ودهاء النساء ـ وتتمتعين بسمة تحفظ واحترام الذات»

بدا أن الموضوع ابتعد عن الشاطيء وغاص بهم في أعماق المحيط، فقالت بسرعة «أنا يعجبني أسم ناتان إنه أفضل من نات»

«أنا أفضل اسم أحد لكن عائلتي لا ترحب به الآن»

«هل لك عائلة كبيرة؟»

«والدي متوفى، ووالدتي تعيش مع أخي الأكبر، المتزوج وله ثلاثة أطفال ولي أخ أصغر متزوج أيضاً».

في تلك اللحظة، أدركت أنه غير متزوج، ليس بيده خاتم، لكن هذا ليس مؤشرا موثوقا، كان يبدو مهما أن تعرف، بدون أن تعي السبب وهو لم يقدم لها معلومات وافية، وترددت في السؤال «هل أنت.. هل لديك أطفال؟»

لن تنظر إلى عينيه ـ أحيانا يضايقها مداعباته وتسليته بها ـ لكنها إرتاحت لأنه لم يضحك منها هذه المرة وقال ببطء «مستحيل! لكنني مللت من إنتظار قدوم أمهم التي لم تظهر بعد لتخبرني عنهم» حاولت مرة أخرى «هل لديك.. هل تزوجت؟»

«لا، هل تزوجت أنت؟»

لم تستطع منع إبتسامتها، هي تعرف أنه يعتبرها ساذجة وغير مجربة «أنت تعرف أنني لم أتزوج!»

قال بجدية «لا، لا أعرف ذلك، رغم أنني خمنته، من المخطر القفز للنتائج دون معرفة الناس، تذكري من فضلك ذات يوم أنني قلت هذا، واعترفي بجميلي»

«لست واثقة مما تقصده»

ارتشف قهوته وقال «أف، نسيت أنها ساخنة، حسنا، يا سوزانا، ماكلارن الآن التعارف الرسمي إنتهى دوره الأفضل أن تذهبي وتستعدي، فلن نعود هنا إلا قبل موعد طائرتك بليلة، سنقضي الليلة في الصحراء، وليلتين في العقبة»

«هل ستنام في الصحراء؟»

«بالتأكيد ـ ماذا تتوقعين؟»

www.liilas.com

الرحلة إلى حصن لورانس العرب إستغرقت عدة ساعات، وكانت الشمس حارقة، لكن السيارة الجيب المكشوفة ساعدتهم بتلطيف الهواء، كانت معظم الأراضي الأردنية جرداء لكن سوزى نظرت إليها باهتمام، مازالت غارقة فى أحلامها، مروا أحيانا بتجمعات سكنية ريفية، يحيطها النخيل وهى الأشجار الوحيدة الكائنة وسط صحراء جرداء، على يسارهم كانت القنوات المائية، التى تقترب أحيانا من الطريق، وشرح لها نات كيف تشق مياه الأمطار قنواتها وأوديتها حتى تصل المياه إلى مستوى سطح البحر. وعلق «أعرف أن ذلك يبدو سخيفا، لكن الناس فى الصحراء دائما يفرقون عندما تحدث عواصف ممطرة وليس هناك مكان للمطر، والأرض جافة ويصعب إمتصاصها للمطر كله، إنه جنون عندما تعرفين كم من الناس يموتون عطشا وكذلك الحيوانات كيف ترين ذلك».

نظرت سوزى منبهرة ولا يبدو أن قطرة مياه واحدة لامست هذه الأرض الجرداء، والآن الحرارة الحارقة تفعل فعلها: «أظنها جميلة، لكنها أيضاً مرعبة جداً».

أومأ برأسه «هناك شيئاً عن الصحراء من الصعب شرحه بدقة، لكنه شىء يجعل المرء يرجع إلى جوهره الحقيقى، بالنسبة لأمثالنا، تمثل لنا التحدى الذى نفتقده، أو ربما لم نجربه أبداً. بعض شيوخ البدو العجائز لم يواجه معاييرنا، لكنهم يتمتعون بأصالة وكرامة يفتقدها أولئك القاطنين فى قصور والمالكين لخزائن قارون وسيارات رولزرويس، لو إستطعت أن تعيشى بكرامتك فى الصحراء إذن لاكتسبت الكثير»

«هذا ما حاولت أن أقوله هذا الصباح: أن المرء لا يحتاج المال لكسب عواطف الناس لكننى أفترض أن البدويين يحبون

المزيد من المال لشراء حنفيات ذهبية وبناء منازل ريفية وقيادة سيارات رولزرويس»

«لا تيخسى قدرهم هكذا! فالفقر يخلو من الرومانسية وأحيانا يقتلها ــ قدر من الفقر والمرض الذى ترينه فى البلدان الفقيرة قد لا تجدينه فى الدول الغنية، وأليست مفارقة غريبة أن المال يوفر للغربيين الفاسدين أمثالنا رفاهية التجوال فى مناطق كهذه، هذا يجعلنا نخجل، ألا تقلقى عن التفكير عندما تحجزين مقعدك على رحلة الطائرة لتأتى هنا، بأن المال فعليا الذى ستنفقيه على الرحلة كان يجب ألا تنفقيه بتلك الطريقة؟ أليست هذه رفاهية؟»

شعرت بالاستسلام، وكأنه يهاجمها مرة أخرى رغم أن لهجته كانت ساخرة مرحة تضايقت، لا تدرى كيف تجيب، ليس هجوما شخصيا، واحتارت هى لا يوافقها ما قاله فعلا هو الحقيقة.. ما تفعله الآن يعتبر رفاهية ليست فى متناول أحلام المتسولين الذين شاهدتهم فى شوارع عمان، شعرت بالخجل!!

سألته فى النهاية «أتعتبرنى فاسدة؟» وندمت على السؤال والإجابة التى ستغضبها لكنه تناول يدها دون النظر إليها، «عزيزتى سوزى، أنت أقل الفتيات اللاتى شاهدتهن فساداً، هن لسن مثلك أبداً»

لمست بيدها طويلاً، شعرت بإحتراق أعصاب يدها من لمسته، لقد ناداها بـ«عزيزتى» وتعرف أنها مجرد كلمة عابرة لا دلالة لها، لكنها جعلتها تشعر بدفء داخلى. وهى تتمنى أن يطوقها بذراعه الآن أطلق يدها وركز على عجلة القيادة ثانية. تحول الحديث بعد ذلك إلى عمله، مما أسعدها وأمتعها بحكاياته عن اللذين قابلهم، واضح أنه سافر كثيراً، ليس بالضرورة من

www.liilas.com

خلال عمله، لكنه كان مغرما بالتحدى فى مهام عمله «أحب التحدى، عندما تكون الأمور سهلة جداً، تبعث على الإسترخاء. لهذا هذه الوظيفة ليست لعبة ربما تجدين الحلول نظريا، لكن كل موقف مختلف ولن تفهميه إلا بالممارسة الحية»

كان حصن لورانس العرب مقاما فى أحد الوديان ــ أرضه مستوية محاطة بصخور عالية ــ أخبرها نات أن بعض البدو يستقرون هنا.. وأن حصن لورانس يجذب السياح للمنطقة الذين يبيعون لهم المرطبات والمناديل العربية، لايوجد شىء يشاهد إلا الحصن ذاته.

ستتذكر سوزى الليلة التى قضتها فى الصحراء بقية حياتها. رغم كل ما سمعته وكل ما شاهدته من أفلام تحولت لتصبح واقعا، فى أحد المخيمات الصغيرة دعاهم أحد أصدقاء فهد لشرب الشاى فى خيمة بدوية مصنوعة من جلد الماعز بألوانها الطبيعية الأسود والرمادى، كانت الخيمة مقسمة إلى جانبين، أحدهما للضيوف والرجال والآخر مخصص للنساء، شاهدت عدد من الأطفال الصغار تغطيهم القذارة يلعبون وسط الماعز، وبعض الأطفال يتسولون من السياح، دعيت سوزى للجلوس على وسادة طويلة، بمجرد جلوسها ونات بجوارها همس لها «قلت لهم أنك إبنة أخى، تصرفى طبقاً لذلك!». ابتسمت له «وهو كذلك ياعمى نات!» غمزها فى خدها والتفت إلى العربى، كان طويلا له وجه صقر، ونادى أحدهم من جانب الخيمة الآخر، ظهرت فتاة عمرها حوالى عشر سنوات، تحيط رأسها بخمار ملون ينسدل على كتفيها؛ لكنه يظهر وجهها، قدمها نات على أنها إبنة حيد، وابتسمت لسوزى وله، وانتحت فى

زاوية الخيمة لتشعل النار فى أعواد الحطب، وأعددت لهم الشاى الحلو المذاق برائحة الهال، والقرنفل، وأعجبها طعمه ومذاقه، وشربت فنجاناً آخر، تحت إصرار الفتاة وهى لاتدرى إن كان ذلك تأدب أم لا. فهى تعرف أن العرب مشهورين بكرم الضيافة وأنهم متمسكون بقواعد صارمة للسلوك.

بعد فترة، إلتفت للفتاة وترجم لها ما قالت له «هى تسألك إن كنت تريدين مقابلة جدتها؟» وافقت سوزى، وقال لها «أنت الآن على حريتك، لن توجه لى الدعوة لدخول الجانب الآخر من الخيمة فهو للنساء فقط» قامت وسارت خلف الفتاة، ووجدت جناح النساء فى الخيمة مشابها فى مظهره للجناح الآخر فيما عدا أن جوانب الخيمة مغطاة بورق مقوى وألواح خشبية، وهناك ماكينة خياطة فوق الوسادة، بمجرد ظهور سوزى كان الجدة تغطى وجهها بالحجاب لكنها كشفته عندما عرفت أنها بمفردها كانت إمرأة عجوز، جلدها مجعد، ترتدى لباسا أسود، وترتدى أساور ثقيلة فى معصمها، أشارت لسوزى لتجلس بجوارها، وقالت شيئاً للفتاة، التى إختفت وعادت بكوبين من الشاى، كانت محادثتهم بالإشارات وفهمت بعض الكلمات العربية من العجوز، وبعض الكلمات الانجليزية من سوزى، وشرحوا لها كيف يعدون الخبز على ألواح عريضة من الصلب فوق النار، وقدموا لها بعض الخبز لتذوقه، وجدت طعمه شهيا، بعد فترة أشارت لها بالإنتظار، وذهبت لجانب الخيمة الآخر «نات هل تعرف شيئاً عن ماكينة الخياطة؟»

«لا، لماذا؟»

«لتصلح إحداها»

«لاتقولى لى أفهم الباقى» إلتفت إلى حيد، وتبادل

www.liilas.com

معهم حديثا بالعربية وإختفى حيد ليعود مع إبنته بماكينة الخياطة، قالت سوزى «إنها قديمة تشبه واحدة كانت لى، أخذتها أختى وكسرتها، لذا أعرف سبب عطل هذه، يجب أن نحاول إصلاحها»

قال نات «تفضلين يجب أن أحاول»

أسعدها أن ما تفعله سيصبح حدثا مهما لهذه الجماعة، وبعد أن شرحت له بعناية كيف تعمل ماكينة الخياطة، فتح نات الماكينة محاولا اكتشافها، وقرر أنه يحتاج لأدوات غير موجودة، لكن ظهر صبى وبدا يبحث عن تلك الأدوات مثل المثقاب والزرادية، وأصبح الشغل الشاغل لكل الخيام حولهم، وتجمع كثير من الرجال والأطفال لمشاهدة نات كشر فى وجههم، ثم حياهم بمرح وقال لها «سيقطعون أذنى لو فشلت فى إصلاحها، لتعرفين الورطة التى أوقعتنى بها!»

نظرت إليه قلقة، وشاهدت يديه تعمل لإصلاحها، والتركيز البادى على وجهه، بعد أن انتهى طلب منها تجريب الماكينة، ووجدتها قد أصلحت لكنها قالت «يجب أن تجربها فعليا، أظن يمكننى تجريبها فى نهاية قميصى»

«بحق السماء لا تخلعى قميصك! ربما يظنوا أنك ستخلعين كل ثيابك!!»

فجأة خطر لها خاطر لمعت به عيناها وقالت «عمى نات إخلع أكمام قميصك»

مطيعا وبنصف ابتسامة خلع لها أكمام القميص «أوثقة أنك بحاجة لها»

«بالتأكيد، يجب أن أجربهم»

وهى تشغل الماكينة ضحك العرب المحتشدين حولهم، لم

تفهم تعبير وجهه، مازال صامتا، وهى تحك كل أكمام القميص لتجعلها بلا فتحات ليده، وضحك العرب من النكتة، وكثرت تعليقاتهم، وابتسم حيد، واشتعلت ابنته مرحا وفرحا، وأسرعت لتخبر جدتها.

بين سوزى ونات خيم الصمت حاجزا، كان ينظر إليها بغرابة، وعلى وجهه ابتسامة، ونظرة فى عمق عينيه لم تفهم سرها، وبدأت دقات قلبها تتسارع، وشعرت بتورد خدودها تحيرت إن كان قد غضب منها فعلا، لكن، ها هى فى النهاية استغفلته!! ولم تدرى كيف تقطع حبل الصمت الممتد بينهما، لكنه قال أخيراً «باعتبارك ابنة أخى، أظننى أفضل أليس، لأسباب عديدة»

ردت بسرعة «هذا انتقام لما حدث أمس، لقد لدغتنى أمام حشد العرب فى السوق وأنا أفسدت أكمام قميصك أمام البدو»

«وهو كذلك، هكذا أصبحنا متعادلين الآن يجب إصلاح الأكمام، لأننا مدعوون لمأدبة، وستأكل ليس بكلتا اليدين لأنها عادة ذميمة عندهم يجب أن تأكلى باليد اليمنى فقط هل ستتصرفى بمفردك لفترة، أم أرسلك لتجلسى فى السيارة الجيب؟»

ابتسمت له، بينما يعيد حيد الماكينة لأمه، وقال لها بعد فترة «لو أردت معرفة سر ضحكهم، لأننى قلت لهم أننى سأضربك بعد عودتنا للمنزل، وقلت أننى سأبيعك لمن يدفع سعراً أعلى»

«وهل حصلت على عروض؟»

«لا، يعتقدون أنك فاجرة جدا»

www.liilas.com

«هذا لأننى قلمتنى بطريقة رديئة يا عمى نات»
الآن هى نادمة على فعلها وتخشى انتقامه.

الفصل الخامس

ليلة عربية

استلقت سوزى على الأرض وهى تتطلع إلى نجوم السماء لفترة طويلة، ونات كان مستلقيا على حقيبة نوم كوسادة، يفصله عنها مسافة قدم، وكانت هى مهمومة بقربه اللصيق بها، ظننته قد نام، فهى تسمع شهيقه، وهو لم يقل شيئاً منذ مدة، كان يشاهدان السماء معاً، ولم تصدق ما تشاهده من تلك النجوم اللامعة المنثورة فى القبة السماوية، ولقد أتاح لها نات خيار النوم فى السيارة، لكنها فضلت التمدد على الأرض، رغم خوفها من العقارب والثعابين، لكنه أوضح لها أنه سينام فى الصحراء «السماء ليلا أحد الأسباب التى تدفع السياح أمثالنا للمجىء للصحراء وتلك»

«الوحدة للطبيعة» تحدى كالذى تحدثت عنه فى الصباح»

«لكن ماذا عن الثعابين والعقارب؟» ضحك «لن يهاجمك سوى نملة كبيرة وفوق ذلك، البدو ينامون على الأرض ولا يقلقهم شىء»

فى الليل تنخفض الحرارة فى الصحراء، كانوا قد تمركزوا بعيداً عن الخيام يفصلهم عنها صخور عالية، تشكل حاجزاً

منتديات ليلاس الثقافية
www.liilas.com

صغيراً، وعلى غير عادته كان صامتاً وقال لها فقط لا تخطمى ثيابك «نامى بملابسك، هذا أكثر عملية، وحتى لو تهدلت صباحاً، لا يهم، سنغسلها فى العقبة».

كان غريبا إصراره على الصمت فهو عادة مليء بالمرح ومحب للحديث، لكنه دائما كان يجيبها باختصار، وبالتالى أقلعت عن الحديث. ربما ذهنه مستغرق الآن فيما يشاهده، بالنسبة لها بدأ عيدها وفرحها عندما جذبتها إبتهة حيد إلى الجانب الآخر من الخيمة، وتبادلت الحديث الممتع مع الجدة، التى رحبت بها بابتسامة حارة، وأشارت إلى الماكينة كما لو تريد أن تشكرها، أجلستها بجوارها وقدمت لها المزيد من الشاى، وبعض الحلوى، وبعد فترة إنضمت لهم زوجة حيد، وإبنتها الصغرى، الزوجة إمرأة جميلة ربما فى مثل عمر سوزى، ترتدى قرطا ثقيلاً ذهبيا وحجاب يغطى وجهها بينما تدخل الخيمة. تبادلت معها الحديث والضحكات، وقدمت لها فستانا أزرق غامق له أكمام واسعة مثل القفطان موشى بالحرير الأحمر والذهبى حول العنق والمعصم، تفحصته لتجده من قماش رخيص، لكن فى جو الصحراء ربما يعتبرته شيئاً ثمينا، قمن بإلباس سوزى مثل العروسة، وارتدت القرط فى أذنيها، وخلخال فى قدميها، وغطت رأسها بالحجاب الأسود، ولا تدرى كيف صار منظارها الآن، وكان إحتفالهم بالعيد قد بدأ قبل حلول الظلام، كانت النساء يقمن بطهى الطعام طيلة اليوم حيث أحضرن غلاية كبيرة لطهى الماعز التى ذبحت فى الصباح، وأخرى لطهى الأرز، الذى قدم للضيوف فى صوانى كبيرة، وظيفة النساء هنا خدمة الرجال والانتظار حتى مجىء دورهن للأكل، تمنت سوزى لو كانت بجوار نات ــ مهما كان

ما فعلته فهو ممتع له، لكنها جلست مبتسمة تشاهد عيونهن المكتحلة بالكحل الأسود تشع مرحاً، وإشارات أيديهن، فلا سبيل لإشراكها فى الحديث غير ذلك.

حيث يجلس الرجال كانت هناك نار مشتعلة، وستارة تحجب حديثهم وضحكهم عن جناح الحريم، وهى لا تريد البقاء معهن، لكنها تريد نات، لكن كيف تفعل ذلك دون خذلان النساء، فجأة ظهر صبى صغير، خاطب زوجة حيد، ومن طريقته فهمت أنه إبنها، ثم إقترب بعد ذلك من سوزى «تعالى!» من سلوكه كان واضحاً أنه تعلم أن الرجال يجب أن يطاع أمرهم، إبتسمت له، ونظرت متشككة إلى النسوة، كن يتضاحكن، وأشارت زوجة حيد إلى الجانب الآخر من الخيمة، هن يعتبرنها مختلفة عنهن فهى تستطيع دخول جناح الرجال، لكنها غير واثقة من إستحسانهم لحريتها، وقفت مترددة وسمحت للصبى أن يسحبها من ذراعها عند مدخل جناح الرجل شعرت بالخجل ماذا سيفكرون عنها ــ ماذا سيرى نات عن طريقة لبسها هذه؟

«تعالى!» قالها الصبى ثانية، كان الرجال يجلسون فى دائرة حول النار وإتجهت الأنظار إليها، وشعرت وكأنها تغوص فى الأرض، كانت هناك تعليقات كثيرة، وضحكات، ووقف حيد بجوارها مفسحا لها الطريق، مشيرا إلى سجادة لتجلس عليها، بجوار نات، الذى حدق فيها، وقال «يبدو أنك تموتين رعبا، ابتسمى، تعالى واجلسى بجوارى من المفترض أنك تستمتعين بهذا الرداء»

«أنا، بشرف، لم أتوقع هذا»

مد يده لها «حسنا، لن أبيعك تعالى»

www.liilas.com

سارت نحوه، تناولت يد نات، وجلست بجواره، قدم لها الطعام رجل جالس فى الجانب الآخر والغلام الذى نصب نفسه خادما وحارسا لها، همس لها نات «هو يستشيط فخرا، يرى اجتذابك لإنظارهم، ويعرف أفضل الطرق لاجتذاب نظراتك وشجعها «حاولى أكل الأرز، لكن لاتنسى بيدك اليمنى» ولأنها لم تألف الأكل بيد واحدة، وجدت صعوبة فى التقاط الأرز واللحم بأصابعها وكانت جائعة، ترجم لها الحديث الدائر حولها وهى تأكل «يريدون معرفة كم عمرك، وهل أنت مرتبطة للزواج ماذا أقول لهم؟»

لمعت عيناها «قل لهم اننى متزوجة من ثلاثة رجال، وأنا أختار مايعجبنى!» بعد تبادل عدة أحاديث، همس لها: «يعتقدون بضرورة زواجك فورا، وإلا فإن جمالك سيذبل كوردة فى صحراء جرداء، أو بمعنى أوقع ستبور فرصك ولا تجدى من يرضى بك زوجة آه؛ هم يحبون عيونك الزرقاء»

«لكنهم لايستطيعون معرفة لون عيونى فى ضوء النار!»

«حقا، لكن بإمكانى مساعدتهم، وأنا تعجبنى عيونك الزرقاء أيضاً» كانت لهجته إقرارا بحقيقة، لكنها لم تدرى كيف ترد فورا، والتفتت إليه لتجبه ينظر إليها، مبتسما، وتعبير عينيه جادا، عندئذ خاطبه ابن حميد وترجم لها «فاروق وأصدقائه يريدون أن تشاهدى لعبتهم، وسأسمح لك بالذهاب معهم»

نظرت إلى الغلام، وابتسمت له، ومدت يدها له، أمسكها بشدة وجذبها وقالت «حسنا ياعمى نات، أتسمح لى؟» «تصرفى على حريتك لكن لاتبعدى كثيرا، ولاتركبى الجمل»

رغم سخرية تحذيره، لم تتجاهله سوزى وبمجرد أن غادرت

الخيمة وشعلة النيران والعيون المركزة عليها، شعرت بإرتياح تام؛ فهى إعتادت تسلية أختها الصغيرة وأصدقائها بألعابهم، ولاصعوبة فى التواصل مع أطفال البدو رغم حاجزا للغة وكانوا يلعبون لعبة الإستغماية، ولكنها تأثرت عندما سقطت فتاة صغيرة وجرحت نفسها، وتوقفت هى لمساعدتها، وبعد ذلك قررت تعليم الأطفال لعبة الحجلة، وترسم لهم المربعات على الأرض، ليبدأ كل طفل فى المشى على قدم واحدة دافعا حجر صغير أمامه وتحمس الأطفال لها، واتجهت إلى نات متوسلة «بحق السماء أخبرهم أن المفترض أن يتتابعوا كل فى دوره ولا يلعبوا معاً هكذا!!»

«لست بحاجة لمترجم، هم يلعبونها وفق قواعدهم»

إقتربت فتيات صغيرة من نات وتبادلن معه حواراً بالعربية، وأخبرها «الفتيات يردن أن تلعبى معهن، يبدو أنك تفضلين الأولاد» ويلا فكاك وجدت نفسها تلعب مع مجموعة الفتيات فى الظلام خلف النار، حتى ناها التعب، وعادت لتنضم إلى نات، بينما تعلق عدد من الأطفال بيديها وبنطلونها محاولين إرجاعها للعب، ولم تجد صعوبة فى تفسير كلامهم، ابتسمت لهم وهزت رأسها، وفى النهاية تركوها لتجلس بجوار نات.

بعد ذلك، عادت إلى النسوة لتخلع الرداء العربى، وشكرتهم، وشاهدتها بإبتسامة، وأسعدها عبوس الفتاة لأنها راحلة، وتعلقت بذراعها حتى ظهر حميد ليعيدها إلى نات، الآن، هى مستلقية محدقة فى نجوم السماء، مندهشة من نفسها، منذ اسبوع لم تكن تتخيل أنها سترتدى الثوب العربى كما فعلت الليلة وتجلس بين غرباء، ومغامرة السوق ساعدتها فى كسب مزيد من الثقة بالنفس، لكن قبل كل شىء إنه نات وحضوره

www.liilas.com

معها هو الذى منحها القدرة للإستمتاع بالأشياء التى بدت أسوأ من المحن، واعتبرت تجربتها شيئاً شبيها بليالى ألف ليلة وليلة العربية، تعيشها مع نات على حافة الواقع المختلط بالرومانسية.

عندما استيقظ كان الضوء أفصح عن مطلع الصباح والهواء منعشاً وبارداً، شعرت بتعضعض عظامها من النوم على الأرض، وبدأت تعتدل للجلوس لترى إن كان استيقظ، كان جالسا قريبا منها، مولياً ظهره لها، يداه حول ركبتيه، محدقا فى الصخور متأملاً وبدا أنه لم يسمع تحركها، وشاهدت للحظة ذلك الرجل الذى كان غريبا عنها منذ ثمانى وأربعين ساعة فقط، وأصبح الآن قريبا جدا منها، «نات؟» إلتفت مبتسما لها متسائلاً «نمت جيدا؟»

لم يكن نوما، كل عظامى كسرت!»

«حسنا، ستتناولين خبزا جافا لذيذا وقهوة لتستيقظى!»

«لم أشكو بعد، لقد استمتعت بوجودى هنا يا نات بشرفى، من فضلك»

حدق فيها صامتا، ومد يده ولمس خدها «سوزى أنت مستحيلة!!» ووقف وسار متجها ناحية السيارة الجيب وتسارعت دقات قلبها وهى تتابعه بنظراتها وفجأة شعرت بالوحدة والإفتقار للأمان؛ شعور لم تحس به منذ إلتقته ودخل حياتها على ظهر جواد عربى مرتديا الزى العربى لكن الآن لا يبدو بطبيعته المرحة الودودة بدا كبيرا وخشنا ومتباعدا عنها، قبل أن تجد مكانا لمزيد من خيالاتها، عاد بالترموس فى يديه، والخبز ملفوفا فى ورقة، وتلاشى التعبير الذى ارتسم على وجهه وظنت أنه غضب، وعادت طبيعة نات السابقة، وتحيرت إن كان من الحكمة أن تسأله ماذا دار فى ذهنه لكن قبل أن تفتح فمها قال

«أمامك خمس دقائق للانتهاء من الإفطار، ثم نتسلق الصخور، هناك بعض العيون الطبيعية أخبرنى حميد بذلك ليلة أمس»

«ماذا تعنى تحديدا بالتسلق؟» «لا تقلقى، لا أتحدث عن تسلق المرتفعات أشك أنك تعتبرين ذلك تحديا»

تناولت القهوة ومشطت شعرها وسوت ملابسها وهى تتناولها وقال لها «نسيت أن القهوة بدون سكر»

«لقد إنتهيت منها»

«وأنا أشربها بدون سكر، هذا شىء آخر مشترك بيننا»

«ماذا هو؟»

«أننا لا نتناول السكر، ونحب الصحراء، ونحب إرتداء ملابس البدو، ولا تقولى أنك لم تعجبنى بملابس البدوية فلن أصدقك، آه، ونحب الهامبورجر، لا تقطبى جبينك هذا يفسد جمالك»

هاهو يداعبها ثانية، وبمجرد الإنتهاء من الإفطار، كان نات متعجلا لإكتشاف الصخور قبل أن تتوسط الشمس كبد السماء» فى الضحى يصبح الجو حار جداً ويجب أن نعود قبل ذلك، لنذهب إلى العقبة، أمامنا ساعتين بالسيارة على الأقل»

كان سهلا عليها تسلق الصخور تابعته، هو يتسلق بسرعة، ثم يجلس فى إنتظارها، وعندما نحوا بعض النباتات والحشرة تغطى زوايا الصخور المنحنية، عرفوا أنهم وجدوا عينا طبيعية، كانت غير عميقة لكنها تحوط صخور كغطاء طبيعى «هذه عن طبيعته لأن مياه الأمطار لا تدوم هكذا، حتى العين محجوبة عن الشمس»

«إنها مياه نقية»

«أتقصدين أن الماعز لم تشرب منها؟»

www.liilas.com

«حسناً، مثل هذا»

«لست واثقا، بإمكان الشرب منها لكن يمكننا الإغتسال منها، لماذا لاتغسلين ملابسك؟»

ضحك وهى تجيبه «لا، سأنتظر حتى تصل العقبة»

ركعت لتغسل وجهها، كان الماء بارداً، وشاهدته وهو يغتسل بعيداً عنها، ويرشها بالماء وردت عليه، وبعد فترة إستلقوا بجوار العين يلتقطوا أنفاسهم، وبدا أنهما استعادا الجو المريح بينهما وقررت أن دورها حان لتسأله، كان نات مستلقيا مغمض العينين: «نات قلت أنك ألقيت نظرة على جواز سفرى عندما كنت فى الفندق؟ ألا تظن أن من العدل أن ألقى نظرة على جوازك؟» ضحك «ماهو الشىء المخيف بالنسبة لى تريدين معرفته؟ جواز سفرى فى السيارة الجيب، لكن يمكننى أن أقول لك ماتريدين، عيون عسلية الطول: العلامات المميزة لاشىء تأشيرات عديدة وطوابع واختام دخول وخروج، ماذا غير ذلك؟»

«كم عمرك؟»

«واحد وثلاثين!»

«ألست متزوجاً؟»

«لا، هذه ثانى مرة تسألينى، لماذا؟ أتظنين يجب أن أستقر فى عمرى المتقدم؟ أظن أننى بالنسبة لواحدة فى عمرك أعتبر عجوزا»

كان فى صوته رنة غضب، وتحدثت هى بسرعة لتتجنب إتساع الشقة بينهما «بالطبع لا، لست عجوزا، لكننى أظن أن معظم الرجال يتزوجون فى العشرينات لماذا لم تتزوج؟ لم أنك إستمتعت بعمل الكيبوتز والسفر حول العالم؟ لاتجيب إذا

أردت، فليس من الأدب أن أسألك أصلا»

«بالتأكيد لم تعد المسألة الآن بيننا مجرد أسئلة مهذبة، لكن على أية حال، لقد أجبت بنفسك كنت مشغولا جداً بعملى ولم أفكر فى الزواج، فليس من الإنصاف ترك زوجة منتظرة فى المنزل لأتصل بها من المكتب يوميا لأقول لها أننى سأتأخر أو أننى سأسافر خلال ساعتين»

«لكن عملك ليس دائما كذلك»

«إذن لماذا لا؟»

«ممكن، لكن الآن لا»

«هل تكسب نقودا كثيرة؟ هذا هو السبب؟»

«ربما نعم، وفرى بعض الأسئلة»

«آسفة، لاأقصد..»

«حسنا، لاتطلبى منى إفشاء كل أسرارى هذا الصباح، لتوفر بعضها لمرة أخرى، حان وقت الرحيل»

عادوا، وفى طريقهم قفز هابطا من صخرة مرتفعة، وطلب منهم أن تقفز إعترضت «لست واثقة»

«إقفزى وسأتلقاك»

«لا أستطيع، ربما أقع»

«ألا تحبى بى»

ابتسمت «لست طرزان، وليست فكرة طيبة»

فى النهاية جلست على حافة الصخرة وتدلت ساقيها، وألقت بنفسها وتلقاها نات، ولثوانى بدت دقائق طويلة ظلا بلا حراك، وشعرت بإحساس لم تألفه فى علاقتها الرومانسية مع جيرالد الذى كان قتى فى الحلم فقط أما الآن نات يحتضنها وتشعر بحضوره القوى معها، وكأن شرارة كهربية إندلعت لتشعل

www.liilas.com

أعصابها، وإرتجف كل جسدها، وكأن شيئاً داخلها ينصهر حتى عظامها، وتلتقط أنفاسها بصعوبة لا تجرؤ على التحرك، ولا تفهم ماذا سيحدث، لقد شجعها نات على التعامل مع أناس كانت تخشاهم منذ يومين فقط لكن الآن لا يستطيع مساعدتها، فهو نفسه سبب مخاوفها، ليس بالدقة بل الخوف من قوة مجهولة تجتاحها والخوف من العواقب، ساد التوتر بينهما، وبدت كأنها خطوة محورية في علاقتهما، ولا عودة ولا تراجع مرة أخرى، خافت أن تفقد نفسها في طريق مجهول بلا نهاية واضحة.

كان صوته خفيضاً «سوزى؟» شعرت بلفح أنفاسه يتخلل شعرها، حاولت الابتعاد عنه وقالت «ليست هذه أسهل طريقة لهبوط الصخرة».

ارتخت يديه وأطلقتها، وتحركا ورأته يسرع الخطى، ربما يعنى أنه مرتاح لأنه لم يفعل معها شيئاً، ربما أنه لا يرغب فيها بعد، وارتعدت لهذه الفكرة، في النهاية عادوا إلى السيارة الجيب، وإمتد بينهما صمت مريب، وفي طريقهما للعقبة، خلال الممرات الصحراوية، كان حضوره قد إستحوذ عليها كلياً، وهي تعرف أنه يعاملها بطريقة ودية أخوية، فهو شخص كريم معها، ينظر إليها وكأنها إبنة أخيه.

وللحظة الأولى رأت أن فارق العمر يمثل فجوة بينهما، فلا مبرر لأن يعتبرها وهي الفتاة غير المجربة شريكته ورفيقته ومحور اهتماماته الرومانسية، لكن لو كان هناك شيئاً تثق فيه، فهو رغبتها وشوقها له، في مستقبل لا حق، ربما ينظر إليها كما هي، في النهاية وصلوا العقبة، بعد ساعتين كما قال، وبدأت تطاردها أحلام اليقظة عما سيحدث لها معه، وكل معانى

الكلمات الغرامية التي ستقولها له، وشعرت غريزيا بحدوث معجزة تجعله يقع في حبها.

كانت العقبة أصغر مما ظنت سوزى والشوارع الجميلة بجوار الفنادق فقط والإعلانات تقول عنها «ريفيرا الأردن» فالمدينة منتجع نموذجي للسياح وميناء تجارى، وهناك شوارع جديدة واسعة ومبانى حديثة، وأشجار النخيل على جانبى الطريق، ومعالمها السياحية الرئيسية تكمن في أعماق المياه حيث الغابات المائية والشعاب المرجانية، والأسماك، لكن جاذبية الشواطىء أفسدتها قليلا ناقلات البترول، الواقفة مثل وحوش سوداء، حذرها نات «لا يمكنك الحصول على كل شيء، البترول هو الصناعة الرئيسية في الشرق الأوسط والبحر الأحمر هو الخط الملاحي الرئيسي والأمور قد تغيرت منذ كان لورانس العرب يركب الجمل هنا»

أقاموا في فندق كبير نظيف، وشرح لها أنه يعرف شقيق مدير الفندق، وسيوفر لها غرفة وسألته «واحد آخر من جماعتك؟»

وتسارعت دقات قلبها، وهي تتعجب إن كانت ستشاركه سرير واحد؟ ولم تتفوه بكلمة واحدة، وعلق هو «هم يتوقعون نفس كرم الضيافة عندما يجيئون لإنجلترا»

سألته «تقصد أن غرفة الفندق مجانية؟»

«ليس تماما، لدى شقة لإستقبلهم هناك وليس فندقا»

ابتسمت «يبدو أن خيط زوارك لن ينقطع عندما تعود»

«أحب الزوار. وسيكون على الرحب للإقامة بالشقة عندما أكون غائبا، العرب يحبون الإقامة في لندن، وأظن هذا تبادل عادل بيننا، أتوقع مجيء فهد سريعا، لو كنت غائبا يجب أن

www.liilas.com

تهتمي به، لا تقلقي لن يحاول معك!»

إبتسمت والتفتت لتفتح باب السيارة ولتجنب نظراته، ليس هذا ما كان يشغلها بالها، فهي تدرك أنها المرة الأولى التي يشير إلى استمرار علاقتهما معا، ربما يعني هذا أنه معجب بها جداً، وربما يعني أنها الوحيدة التي يعرف فهد في لندن بخلاف نات، وهي استفادت من كرم ضيافته في الأردن، ويجب أن تسدد دينه.

تناولوا شرابهم مع المدير في مكتبه الفاخر، والسجاير في يده، هو شخص طويل شعره أشهب بشارب، وعيون جميلة غامقة، جذاب في مظهره، رغم أن وزنه يميل للثقل، كان سلوكه معها ودودا، ومرحبا بنات، وتبادلوا حديثهم بالعربية مع بعض الإشارات الإنجليزية، وعرض عليها أن تطلب ما تريد لتشربه لكنها طلبت ليوناده فهي لم تأكل شيئاً منذ الصباح، خشيت أن تسكر سريعا من الكحول، وقررت أن تذهب للإغتسال وتغيير ملابسها، يبدو أن نات لم يفكر أن تناول شراب مع مدير أحد الفنادق العالمية بتلك الملابس ليس أمراً صحيحاً في النهاية، وقف الرجلان، وابتسم نات لها «تعتقد سوزى كأننا قد قضينا معظم الاسبوع الأخير في شظف العيش في الصحراء ويجب أن نغير ملابسنا، ونغتسل، قبل أن تستمتع برفاهية الفندق»

لحسن حظها لقد قرأ أفكارها مرة أخرى، وفتحت فمها لتقول شيئاً، لكن المدير عاجلها «مرحبا بك دائما يا سوزى، أنت جميلة كما أنت، نات رجل محظوظ جدا، أتمنى أن تستمتعوا بإقامتكم»

لم تتذكر كيف خرجت من مكتبه أو ما قالته، لقد أغرقتها

كلمات المدير في تشوش، ماذا قال له نات؟ وماذا يتوقع نات منها؟ هل طال إنتظاره لهذا؟ عجزت عن تكوين قرار واضح محدد، وسارت خلفه تلقائياً، كانت حقائبهم قد وصلت الغرفة، ويبدو أن غرفتهم في نفس طابق المدير، حيث يستخدمان مصعد خاص به، تركهما موظف الفندق، بإبتسامة مهذبة «مرحبا بكما في فندقنا، من فضلكم إطلبوا ما تشاءون، فقط إتصلوا بالإستقبال»

بينما يشكر الموظف إستدارت هي داخل الغرفة، لقد أتيح لها جناح بأكمله وليس غرفة وأثاثها يميل شقة عمان مجرد كوخ فقير، تتسول شحاذ، الأثاث هنا كله تحف أوروبية، وللغرفة بلكونة خاصة، تتظللها النباتات الخضراء ومظلة ملونة، هناك باب يفتح على المطبخ، به ثلاجة، ولمحت بابين في الجدار المواجه، وقبل أن تحاول إكتشافهما، عبر نات الغرفة وفتحه ونظر داخله، وإستدار ناحيتها «لماذا تبدين عصبية هكذا؟»

«لا شيء» كان تعبير وجهها ينضح بالكذب.

«لم يكن أمامنا إلا قبول عرض المدير ولكن لا تلقي بالا لما قاله لك! أؤكد لك إن كلامه مجرد مجاملة لك، ولا علاقة له بي ـ بعيدا عن حقيقة ما يبدو أنني أقضي معظم وقتي معك الآن، إذن لا تقلقي أنني أستغل جهلك للغة العربية وأنسج المكائد والفخاخ الشريرة لإصطيادك، أؤكد لك»

«أنا لم...»

«نعم، لقد ظننت، لو أردت تغير الغرف، أؤكد إمكان ذلك»

جف حلقها، ربما فتح الباب لغرف النوم ـ أم غرفة النوم؟ هي ليست واثقة فعلياً.

www.liilas.com

سألته «ماذا تقصد؟»

«أقصد إن بإمكانك إختيار أى سرير لتنامى عليه»

بعد ذلك، لم تستطع معرفة ماذا إحتاج مشاعرها هل تعود بإرتياح أم خيبة الأمل؟؟

الفصل السادس

لن أندم يا حبيبى

إستلقت سوزى فى الحمام وأغمضت عينيها فهى تعلم أنه ليس فى الغرفة، لديه علاقات غامضة وأصدقاء فى الفندق يريد مقابلتهم، ولذا استخدم الحمام قبلها وتركه لها لتستخدمه كما تشاء، كانت جالسة على مقعد فى غرفة الجلوس عندما خرج من غرفة النوم، وبدا واضحا على وجهها الدهشة التى إنتابتها لمظهره الجذاب، وقطب هو جبينه قائلاً «هذا يعرف بأنه «التأثير فى الزبائن» وهذا يهم الشركة جداً، الحمام الآن تحت أمرك، لن أتأخر»

بتردد قالت «نات...»

«ماذا؟»

«لماذا تذهب لمقابلة الزبائن وأنت فى اجازة؟ الشركة لديها كثيرين غيرك؟»

«ليس حقيقياً، الإهتمام بمصلحة الشركة هى إهتمام بمصلحتى بالمثل سأشرح لك هذا فيما بعد، ولو تأخرت فى الثلاجة زجاجة شمبانيا، تحية من المدير، لكن لاتشربيها كلها»

منتديات ليلاس الثقافية
www.liilas.com

قبل أن ترد كان قد خرج، الآن هي مستلقية في الحمام، عيناها هائمة في خيالاته، وتذكرت كيف نظر إليها قبل نصف ساعة، ظنت لحظتها أنه يداعبها، لكنها الآن أدركت أن سؤالا كان يلوح في نظراته، لو قال لها أحد من ثلاثة أيام أنها ستقاسم رجلا غرفة نوم واحدة، ربما لاجتاحها الرعب، وعدم التصديق، لكن بعد صحبته طيلة ستين ساعة ممتعة ستشعر بافتقاده لو تأخر عنها ساعة واحدة، هذا جنون كامل!! خرجت من الحمام بتردد عنيف، وجففت جسدها بمنشفة ناعمة كالحرير، ومنشفة أخرى لشعرها، هي لا تريده أن يعود وهي نصف عارية، وارتدت بلوزة زرقاء، وتمنت أن سيوتر مظهرها في مشاعره، جلست في البلكونة، وسمعته «سوزى؟ أين أنت؟» لقد حان وقت شرب الشمبانيا إن لم تكوني قد شربتيها»

وقفت لتجده عند الباب يقول لها «أتريدين...» ونظر إليها متأملا «ليس هذا وقت جذب الإنتباه سألتك عن الشمبانيا، لكن يبدو أن تجفيف الشعر أنسب»

شعرت بخفقات قلبها عندما رأته وجلست تحدق فيه، وابتسمت، بدا وكأنه يكتم أنفاسه، وتذكر فجأة وأصبح صوت تنفسه مسموعا، تقدم ناحيتها، وطوق خصرها بذراعيه، وسوى خصلات شعرها المتسدل على وجهها، «تبدين الآن أفضل لكن هناك مجفف شعر في الحمام، إذهبي، لن نشرب الشمبانيا إلا بعد ذلك»

عادت لتجده يتأرجح على الأريكة ويقرأ صحيفة، وعبق الزجاجة ظاهر من إناء الثلج، على مائدة بجواره، وكأسين أيضا على صينية، قال «أتمنى ألا تحبي الشمبانيا، هذا لصالحي»

ضحكت وجلست على أحد المقاعد «إذن فأنا آسفة لتخيب أملك، أحبها جداً!»

«بالنسبة لفتاة تحب البساطة في الحياة هذه بداية سيئة، أين اكتسبت تذوق الشمبانيا؟»

«لم أكتسب تذوقها، مازلت أجربها لن أشرب أكثر من نصف دستة كؤوس في حياتي كلها»

كانت عيناه على الجريدة، ثم نظر إليها وساد الصمت لحظة، وقال «أتعرفين أنك جميلة جداً؟»

لم تستطع ملاقاة نظراته، وتمنت ألا يظهر على وجهها شعلة الفرح والسعادة داخلها، وسمعته يطوى الصحيفة ويلقى بها على المائدة وقال «إحرار الحدود لن يغير من الأمر شيئاً لن تختبىء خلفه، أنت جميلة جداً، ياسوزى، بالإضافة لجاذبيتك التي تفوق جمالك، إذن، قبل أن أفعل شيئاً أندم عليه، جربي الشمبانيا، واتركي لي فرصة معرفة رأيك حول بقية السهرة، لدينا احتمالات كثيرة ــ أن نسكر معا أحدها!»

تزايدت سرعة خفقات قلبها، مرة أخرى، ولم تجرؤ على النظر إليه، ولمحته يضحك منها، وشعرت بخيبة أملها ــ بدا وكأنه يريد الإنتقام منها أو ربما هي تتكص على أعقابها؟ ماذا يقصد بقوله «أندم على شيء؟» قد أفعله، إبتسمت، وتناولت زجاجة الشمبانيا، قال هو «حسنا أعجبتك أم لا؟»

«أقصد أنها زجاجة للتجريب فقط؟ إذن سيكون لدينا زجاجات كثيرة ونشرب هذه للإفطار».

«إذن قررت أن تسكرى، إذن هناك قرار آخر، أتريدين الغذاء هنا، أم في المطعم؟ كلاهما سيان فقط ينقصنا الخدمة».

www.liilas.com

«ماذا تقصد؟».

«سيرسلون الغذاء لنا على حامل متحرك مع جرسون؛ ويمكننا إيقافه لخدمتنا أو نصرفه».

قالت ببطء «لنتناول غذاءنا هنا، ولا نبقى الجرسون معنا»

بدأت الشمس تميل نحو الغروب والشمبانيا صارت مثلجة وقال نات «أعرف ما تفكرين فيه «ماذا» تعجبت إن كان قد إستنفد خيالاتها، ومشاعرها التي تتراقص فرحا بقربه منها.

«أنت آسفة على عدم وجودك في غرفتك بعمان، وتعدين نجوم السماء حتى يحين موعد طائرتك»

يداعبها مرة أخرى، لكن ابتسامتها له كانت غامضة، وضعت كأسها، على مائدة البلكونة الصغيرة، وقالت «أفكر أن.. بطريقة، أفكر فقط في الطريق الآخر، أفكر في وجودي هنا، استمتع بحياتي، شكرا لك يا نات، أتمنى ألا أكون رفيقة مملة»

وضع كأسه، واتجه ناحيتها ببطء، ويتفحص وجهها وتعبيراته، وطوق وجهها بيديه، أخيراً لم يعد يراودها شك فيما سيفعله، وهذه المرة هي تريده، وتتلهف شوقا له، وخائفة أيضا منه، إلتقت عيونهما وإنحنى ليقبلها، وإعتدلت لتمكنه من إكتمال القبلة لكنه إكتفى بقبلة سريعة ثم قبلات على وجنتيها، ووقفت وتراجع لتأملها وابتسم لها، وعيناه تشع نورا دافئا «لم أبعد يدي أبدا عن امرأة جميلة»

واصلت نظراتها نحوه، وهي شاعرة بالخدر والضعف الذي إجتاح جسدها، وغزا عقلها، مازالت يداه حول عنقها، وسألته «أيعني هذا.. أيعني أنك تعرف كثيرات من النساء الجميلات؟»

وهو ينظر إليها تلاشت ضحكات نظراته «آسف، هذا ابتذال مني، من حقك أن تسألي؟»

«آنا آسفة... أنا»

«لا، لا تعتذري، سأجيبك لو كنت تتحدثين عن العشيقات، نعم لي قليلات منهن، أظنه عدد قليل لواحد في عملي، لا أدري، ليس هناك معدل لهذا، هذا لا يعني لك شيئاً، سوزي، سأشرح لك وظيفتي في وقت آخر، لكنني أقابل كثيرات من النساء الباهرات الجمال، وهن يؤكدن لي أنهن في متناولي لو أردت لكن الآن، لي قليل منهن، لا استطيع الإبتعاد عنهن، كما ترين لم استطع الإبتعاد عنك، لكنني لم أقابل واحدة مثلك من قبل، واستطيع أن أثق في حظي..»

«نات!» بالكاد نطقت إسمه.

ضحك لأنفاسها اللاهثة، وخدش خدها «حان دورك لصب الشمبانيا سأذهب لطلب الغذاء، ثقي بي لن أسممك؟»

أومأت بلا كلام، هي بحاجة لوقت للتفكير فيما حدث بينهما وما قاله لها، لكن أثناء الغذاء لم تجد وقتاً للتأمل حتى أنها لا تتذكر كم عدد الأطباق التي قدمت لهم، كانت هناك زجاجة شمبانيا أخرى، لم تشرب كلها، أكد لها نات أنها تذوقت كل الأطباق لقد أضعفت الشمبانيا شهيتها، لمست الأطباق للتذوق فقط، وندمت على إهدار كل ألوان الطعام والمشهيات واصل نات تسليتها بحكايات عن عمله، وداعبها كثيرا، ثم قال لها بعد أن إستعاد جو الهدوء بينهما «يجب ألا نفعل شيئاً سوى الجلوس هنا بجمالك، فلقد دعانا المدير لشرب

www.liilas.com

القهوة معه »

« هذا لطف منه ، مؤكد أنه تأثر بك جداً !! »

قال فى النهاية بعد سحابة صمت « إبنة أخى مغرمة بالديسكو ، هنا ديسكو فى الفندق الليلة ، أتريدين الذهاب ؟ »

ها هو يقول لها مرة ثانية مؤكدا بحسم أنه يحاول تسليتها بنفس طريقته مع إبنة أخيه ، وقالت « أحب الديسكو ، لكن قبل لم بعد لقاء المدير ؟ »

ضحك واقفا « بعد لقاءه »

جاء أحد موظفى الفندق لتوصيلهم ورحب بها المدير بحرارة « آنسة ماكلارن ! يبدو أن العقبة تلاشت تماما ــ تبدين رائعة ، أتمنى أن تكونى قد وجدت كل شىء كما تحبين ؟ »

ابتسمت بحرارة « نعم ، شكراً ، يبدو كالجنة بعد العيون الصخرية وإفطار المعسكرات فى الصحراء ! » واصلت الكلمات ، سهلة مريحة وبتساؤلاتها إستخرجت معلومات كثيرة عن الصحراء ، والأردن عموما .

بعد شرب القهوة قضوا ساعة فى الحديث ، وإندهشت لمرور الوقت بسرعة ، وكيفية إحترام المدير له ، نات له موهبة خارقة فى اكتساب إحترام الآخرين له ، وأيضا صداقتهم . بعد العاشرة قام نات ، وأشار لذهابه إلى الديسكو مع سوزى ، وتحولت دفة الحديث إلى موسيقى البوب وإستراحت للابتعاد عن حقيبة العمل ، ولمحت نظرات نات إليها مرتين ، كانت نظراته متأملة ، وبعد إنصرافهم شعرت بإجهاد ذهنى شديد ، قال نات لها « أريد أن أشير لك بإمكانية إسدال شعرك على حريته الآن ، لكن لا يبدو هذا ضروريا »

إلتفتت إليه ، وعيناها تلمع « أيعنى هذا أنك ترى ما يدور

فى أعماقى !! » ضحك ، وضع يده على ذراعها ليجذبها ناحيته ، « واثق أننى استطيع ، لكن المدير لا ، كان واضحا إنبهاره بجمال عيونك ، ها هو عرض آخر لك لقد إندهشت منك طيلة الوقت » وتأبط ذراعها .

ووجدته يجيد الرقص مثلها ، جلسوا مرارا للراحة ، وطلب مشروبات ، أصرت هى على عصير البرتقال ، فهى لا تشرب الكحول كثيراً ، وعندما هدأت الموسيقى ، رقصوا ثانيا ، على إيقاع بطىء ، جذبها بين ذراعيه وتركها عندما شعر بإرتجاف جسدها ثم شد قبضته حولها « مما تخافين ؟ » بعد فترة تركت نفسها بين أحضانه على الانغام الهادئة الرتيبة ، وجعلها تطوق عنقه بذراعيها ، وهو يحتضنها ذراعيه حول حصرها ؛ لم ترقص هكذا أبداً ، مع رجل من قبل ، لم تشعر بمرور الوقت ، حتى تغير الإيقاع مرة أخرى وقال لها فى أذنها « لا تنامى » ثم رقصوا على إيقاع سريع متباعدين .

عندما عادوا إلى الغرفة ، كان ينظر إليها ، وإضطرت هى للحديث « شكراً لك ، هذا مدهش ــ لم أقض وقتا بهذا الجمال أبدا »

« ولا أنا »

على الأقل هذه المرة لم يعاملها كعادته كإبنة أخيه !!

أضاء نور غرفة الجلوس « أتريدين الحمام أولا ؟ »

هزت رأسها « لا ، أنت أسرع منى »

ذهبت إلى غرفة النوم ، وقبل أن تفتح الحقيبة لتحضر التى شيرت الذى ترتديه فى السرير ، ظهر نات مرتديا الروب « الحمام جاهز لك » انتظرت حتى عبر أمام سريرها ، وخلعت حذاءها ، ذهبت إلى الحمام وأخذت دشا سريعا ونظفت

www.liilas.com

أسنانها وندمت لعدم إحضارها التى شيرت لن ترتديه أمامه، والبديل الآن أن تنام فى الروب الحريرى، عادت لتجده مستلقيا فى سريره، نصف جسده مغطى بالملاءة، وعلق

«هذا جميل!!»

«أتعرفين ياسوزى أنك تبخسين قدر مواهبك، لماذا لاتتركى وظيفة السكرتيرة؟ لماذا لاتتعلمين الفن مثلا»

ارتجفت «ليست موهوبة بما فيه الكفاية ولم أفكر أبداً»

«يمكنك تحقيق ثروة»

هزت رأسها «لا، لا أستطيع، يستغرق عمل التطريز وقتا، ولن أبيعها بثمن مرتفع»

«أظن أن هذا يحتاج لمجهود ذهنى بالغ»

ضحكت: «أنت سخيف، يانات» أنا لم أجيد الحساب أبداً»

«لم أتحدث عن الرياضيّات أبدا فلماذا إذن لاتصبحين موديل للتصوير؟»

«أنا، أنت تمزح! على أى حال، لست طويلة بما فيه الكفاية»

«نعم، أنت طويلة، ومظهرك جميل وجميلة جدا، وغير عادية، ماذا تحتاجين غير ذلك من مؤهلات؟»

لم تفكر أنها تصلح موديل أبدا، لكن كلامه ومدحه لجمالها غاص بها ناحية المناطق الخطرة التى تخشاها، «عندما نعود إلى لندن سأقدمك لأحد أصدقائى لو أردت، هو مصور»

«يبدو أن لك أصدقاء فى كل مكان، لكننى لا أحب عمل الموديل، ولن تروقنى تلك الحياة»

أطبق الصمت ثانية ثم قطعه «ماذا تريدين؟ تقضى بقية

حياتك تنسخين الخطابات؟ وتجلسين فى شقتك فى إنتظار مانفعله كاترينا؟»

جاهدت نفسها لتقول «أتزوج وأنجب أطفالا»

«ومن الذى ستتزوجينه؟ شخص رومانسى فقير لمجرد معاندة سلوك كاترينا، وتتصورين جوعا فى شقة من غرفتين، وطفلين؟»

«أفضل الحياة جوعا فى شقة من غرفتين مع شخص لطيف، أفضل من الحياة فى قصر مع واحد من الذين تخرج معهم كاترينا!!»

«مؤكد أنهم جميعاً ليسوا أشرار؟» «لا، بالطبع لا، لكنهم جميعا يعتبرون المال يفعل كل شىء!!»

«ما وجه إعتراضك على المال ياسوزى»

«ليس المال فى حد ذاته، المال مجرد قطع معدنية أو ورقية هو ما يؤديه للناس، يغيرهم بجعلهم يشعرون أنهم مهمين بسبب إمتلاكهم مال كثير، ويمكنهم شراء الناس مثل شراء الأشياء... وفى النهاية نتملكهم ممتلكاتهم، ويجهلون الأشياء الحقيقية فى الحياة»

«هذه موعظة جيدة والآن، إهدئى، قولى لى أين جئت بكل هذه الأفكار، ما الذى جعلك تكرهين الأثرياء؟؟»

جلست فى نهاية السرير، وهى ترتجف، فهى حبت أن تخبره من قبل وتجنبت ذلك، لكن ليس من النزاهة تكرار المروب «هل أنت... أنت واثق أنك تريد سماعى؟»

«طبعا»

نظرت إلى أرضية الغرفة، تزايدت حدة الصمت وصعوبة قطع حبله الممتد لاتدرى أين تبدأ، رغم ألم طلاق أمها ومضى

www.liilas.com

زمن عليه، إلا أن علامته حية فى نفسها، بدأت مترددة «لم تسألنى أبداً عن عائلتى.. رغم أننى أعرف قدرا عن عائلتك»

«أعرف أن لك أخت صغرى اسمها جودى تحب ألعاب الكلمات»

«هى أخت غير شقيقة من زوجة أبى لويزا الذى تزوجها وعمرى ثمانى سنوات، هى إمرأة محبوبة ــ ودودة طيبة ومهتمة بالناس ــ لكننى أظن أن أبى مازال يحب أمى، رغم كل شىء» توقفت «أظنه تزوج مرة ثانية من أجلى.. طبعا، هو مغرم بأمى جداً، لكن عندما ولدت جودى شعرت بأن لى أسرة».

سألها نات «أين أمك الحقيقية؟»

«لا أدرى، فى البداية عندما كنت صغيرة، كانت ترسل لى خطابات وهدايا ثمينة، لكنها إنفصلت الآن عن الرجل الذى تركت أبى من أجله»

«هما مطلقان؟»

أومأت «والدى وكيل عقارات، لكنه لم يكن أبدا مرتاحاً كما هو الآن، عندما تزوجا كان يكسب قليلا، كانت أمى جذابة جدا تحب المتع والمرح، وأنجبتنى فى عام زواجها الأول، وسأمت حياة المنزل ورعاية طفلة طيلة اليوم، أخبرنى والدى منذ وقت طويل أنها إلتقت بد بفيد فى منزل أحد الأصدقاء، كان ثريا وله نفوذ، وقدم لها مايعجز أبى عنه، هدايا، مجوهرات! وأشياء لم يراها أبى حتى تركته ذات يوم، ربما كان هناك خلافات قبل ذلك، لكن يبدو أنها رحلت فى دقيقة وفجأة»

«ماذا حدث بعد ذلك؟»

«وافق أبى على طلاقها، حاول يائسا وغير موفقا إعادتها للمنزل، لكنه فهم أنها تعيسة معه، ربما ظن أن بإمكان ديفيد إسعادها، ديفيد كان يرسل لى الهدايا أيضا، محاولا شراء عواطفى كما أظن، كان أبى مصمماً على رعايتى بنفسه، كرهت هدايا ديفيد، كنت أجعل أبى يرفض قبولها».

«كيف تشعرين بالأمر الآن؟» ببطء «أعتقد، عندما أفكر فيه، أشعر بالندم والأسف لأمى، فهى تخلت عن الحب لأجل المال، حتى لم تستمر مع ديفيد كثيرا، وعدت وعاهدت نفسى ألا أرتكب هذا الخطأ أبداً» تفحصها صامتا ثم قال «أفهم أن كل تعليقاتك عن الأثرياء تعود إلى ديفيد؟»

«ليس تماما، لقد أخطأت أنا تقدير أحدهم ذات مرة»

سألها بلطف «أتريدى الحديث عنه؟» «لا» جيرالد مجرد ماضى تعلمت منه درسا لن تنساه أبداً.

«حتى لو كان ماقلته صحيحا عن ديفيد ــ وذلك الرجل الآخر ــ فلن ينطبق على كل الأثرياء»

«ربما».

خيم الصمت عليهما ثانية، وقال لها «أنت عنيدة وقتا تشائين ليس كذلك؟»

«هى مرحبة بالمداعبة الآن «أعتقد دائما أن المال وحب المال ليس شيئاً حسناً، هذا مافى الأمر!!»

«وهو كذلك، ياحلوة، أفهم لماذا تفكرين هكذا ــ لكن مازلت آسفا لكل هؤلاء الأثرياء المساكين الذين حرموا من فرصة حبك لهم، وماهى تلك «الأشياء الحقيقية فى الحياة» التى يعرفها الأثرياء؟»

أرادت أن تقول «الحب» لكنها ترددت الإجابة ستكون

www.liilas.com

بسيطة وغبية بالنسبة لشخص ذكي مثله، هي تعرف أن الحياة ليست بمثل هذه البساطة ــ طبعاً لا، وعندما تذكرت أباها وأختها وزوجة أبيها وقناعتهم التامة الآن وسعادتهم وقدرتهم على المشاركة في حياة الآخرين، عرفت أنها على حق.

وقالت في النهاية «الأثرياء لا ينظرون للناس بطريقة صحيحة، يعتبرونهم مجرد أشياء في الحياة، أليس كذلك؟»

«أوافقك تماما، لكن لنرجع للوراء لنعرف كيف بدأت المناقشة، كنت تريدين قضاء حياتك متزوجة رجلا يفهمك بطريقة صحيحة أليس كذلك؟ هذا ما تقصدينه بكونه «لطيفا» يا سوزى؟»

بدأت تغضب فهو يقودها إلى زاوية لم تقصدها «قصدت أى شخص أحبه! أقصد شخص ليس ثريا ولا يهمه تضييع حياته في جمع المال، وأحبه لذاته، ويحبني لذاتي»

«إذن لن تسمحي لي بجعلك تعملين موديلا؟»

هزت رأسها عاجزة عن الكلام «تعالى هنا»

نظرت إليه متشككة، بتردد قامت وإقتربت منه، ومد يده ليتناول معصمها «إجلسي» جلست في المكان الذى أشار إليه، بجواره، وبدأ يخلع مشابك شعرها واحد وراء الآخر، تساقطت خصلات شعرها متسلة فوق كتفيها وألقى بمشابك الشعر على الأرض، كان صوت خفقات قلبها مسموعاً.

«الآن أنظرى إلى صورتك»

«وقفت ببطء واتجهت إلى المرآة، كانت صورتها غير تلك التي تطالعها صباح كل يوم، ها هي ترى نفسها بعيونه هو، ابتسمت لنفسها، كانت عيناها واسعة.

«إخلعي الروب»

«لا استطيع»

«تعالى هنا»

«لا أريد أن أكون من نوع الموديلات اللاتي يظهرن عاريات، حتى لو وافقت أن أكون موديلا!».

دون وعي عادت إلى جواره، وقال لها «لم أطلب منك التعرى، إجلسي» جلست في مواجهته، على حافة السرير قدميها ترتجف تحتها، تفصلها عنه مسافة كافية، مد يده ممسكا بياقة الروب الكيمونو، محاولا جذبه للخلف لكنها أمسكته بكلتا يديها، نظر إليها صامتا «يالالأسف!!»

«آسف على ماذا؟»

«أنك لن تصبحين موديلا، وتهدرين كل هذا في شقة من غرفتين مع طفلين!!»

«لقد أغفلت ذكر الزوج!!»

«آه، نعم؛ حب فوق السطوح حسنا، يا سوزى...» فجأة تعمق صوته «أحيانا أقول لنفسي أنك لا تعرفين كثيرا عن خلوات العشق فوق السطوح، رغم ما قلته لي، وأقسم أنك لا تعرفين شيئاً عن الحب»

كانت صامتة.

«أين عشيقك الذى تركك تشتعلين رغبة هكذا لتجدى نفسك في غرفة نوم مع رجل غريب؟»

«ليس لي...» بدأت ثم بسرعة رأت أنها خطأ، هي تعرف أنه يعتبرها بلا تجربة، لا حاجة لإعطائك مزيد من الدلائل، فكرت في دونكان كان صديقها فعلا، مازالا على علاقة «لي صديق، لكنني لا أقابله كثيرا».

«لماذا؟»

www.liilas.com

« لدينا ما نفعله وليس سهلا أن نلتقى ، على أية حال ، أعرفه منذ سنين ، ولا ضرورة للقائنا كثيرا » لأنه تختلق قصة كاذبة ، تكاثرت أكاذيبها فى محاولة الشرح .

« لا ، لا أفترض أنك تفعلين هذا ، متى رأيته آخر مرة ؟ »

لم تستطع التذكر ، لكنها تريده أن يعرف فلقد قالت أول خاطر ورد فى ذهنها « فى عيد القيامة » فطبت جبينه « كذابة ، أرى أن تختلقين كل ذلك ، هذا يضايقنى رغم أن الأمور قد تجمدت ولا أدرى كيف تستعيد حرارتها »

نظرت إليه بلا حول شعرت باحتراق أعصابها وامتلأت بالرعب من إحتمال حدوث شىء ، ظهر عجزها واضحا ؛ بينما لمس ذقنها بإبهامه ، ومرره فى خط هابط عبر حلقها حتى الفراغ الماثل بين نهديها كسهل بين قنتى الوادى ، بينما كانت يده اليسرى تفك الروب الكيمونو ، لم تقاومه ، رأته يتطلع بإنبهار إلى صدرها ، وإلى تلك الحلمات بلونها الوردى والبنى ، وإلى خصرها النحيل ومنحنيات جسدها ، لم يلمسها ، فى النهاية قال لها « إستلقى يا حلوة ، أعدك لن أفعل مالا تريدين »

تلاقت العيون للحظة كأنها الدهر كله ، بينما شلت إرادتها بين اللهفة والشوق والتردد ، وأخيرا وقفت ليسقط عنها الروب على الأرض ، وجلبها ناحيته ، كان عقلها شاردا فى ذهول بينما جسدها يتحرك بحريته ، استلقت بجواره على ظهرها ، وهى ترتجف ، ليست بسبب البرد ، لكنها عاجزة عن السيطرة على أعصابها وعضلاتها ، لاتدرى بماذا تشعر ، ليست خائفة ، ولا بالرغبة ، لم تجرب هذه الاحاسيس من قبل ، « إهدئى » كانت عيناها مغمضتان ، فتحتها ، لتجد عيونه تلتهمها ، كان مبتسما لها بقبل أصابعها وبدأت الشرارة تتصاعد لهبها ليشب الحريق

فى جسدها ، ولتحلق فى أجواء متعة لم تكن تتخيلها .

لكنه قال لها عندما سألته : « أتريدنى يا نات ؟ »

« إن لم تكونى بريئة هكذا ، لإكتشفت بنفسك ، يبدو لى أن صديقك المزعوم كان يهدر وقته معك ، ويبدو أنك لم تجربى هذه الأحاسيس من قبل ؟ »

همست « فعلا »

« إذن سيكون من حسن حظى فتاة جميلة بريئة مثلك لم يلمسها أحد من قبل ولاتدرى ماذا تريد ، والآن سأعيدك إلى سريرك »

لاتدرى كيف ستقضى ليلتها بعيدة عن جواره ، عارضة « لا يا نات » وتوسلت إليه « إتركنى بجوارك من فضلك ! أعدك لن أحاول إثارتك .. »

كانت ضحكاته غير متوقعة « يا حلوة القلب أنت مدهشة !! أنت تجسيد للإغراء ـ لكن مثلك غير المثقفة لنفسها ربما تعنى ما تقوله ، وهو كذلك ، إبقى هنا ، لكن أى إثارة سأعيدك إلى سريرك »

تنهدت ، وحاولت الاستلقاء بلا حراك ، وبدون توقع تحدث هامسا :

« سوزى !! »

« إم م !! »

« مسموح لك بالتنفس »

www.liilas.com

الفصل السابع

لعنة المال

استيقظت سوزى فجأة، ورأت ضوء الشمس يملأ الغرفة، أى غرفة؟؟ أغمضت عينيها ثانية، كان شعرها يغطى أنفها، رفعت يديها تزيحه، وشعرت بيد تتسلل تحت ظهرها، إبتسمت وأغمضت عينيها، لقد إندهشت لأنها نامت فى النهاية، فهى تتذكر أنها إستلقت مستيقظة لساعات وساعات، أرهقها الأرق والرغبة المكبوتة، وجسدها الذى أنهكه الحرمان ومزقه الاشباع المحروم منه رغم إمكان تناوله كالظمآن على شاطىء المحيط!! وتتذكر أنه غرق فى نومه سريعا، ووجدت نفسها مشتاقة لأن تقبله وتلمسه، لكنها خشيت من إيقاظه وبالتالى حرمانها من النوم بجواره كما حذرها، الآن شعرت بلمسة أصبعه على شفتيها، ثم تجول مكتشفا بافى تضاريسها، فتحت عينيها، لترى فورة نشاطه وحيويته تفصح عنها عيناه، ابتسم لها «صباح الخير» نظرت إليه دون كلام.

«ألن تقولى شيئاً؟»

«أنا جائعة» شعرت به يضحك منها.

«لو كنت أعرف أنك مثيرة هكذا لما سمحت لك بالنوم

فى سريرى أمس، ألم تندمى على نومك فى سريرى ياسوزى؟ أحيانا الأمور تبدو مختلفة فى ضوء النهار، أعرف ما ستقوليته، وترجعى الأمر لارتفاع معدل الحرارة فى الأردن فى أغسطس لكن هذا مالا أريد سماعه»

قالت بجدية «لم أندم ثانية واحدة، ومندهشة لسؤالك، بعد كل ذلك، بعد أن سمحت لنفسى بالنوم جوارك لم يعد أمامى خيار آخر»

«لا ياحلوة، أنا الذى لم أترك لك خيار آخر، أنا أكبر منك وأكثر تعقلا ولذا أعرف أكثر منك»

«آسفة» كان صوتها أقرب للهمس «عزيزتى، لم أقصد الندم، لكن أنا كنت أريد أكثر منك، لكنك صغيرة جدا ياسوزى وحلوة جداً ولم أشأ استغلالك»

قبلت ذقنه وقالت ببطء «أمس عند الصخور ماذا ظننت عندما سقطت بين ذراعيك؟»

«سقطت بين ذراعى ولا شىء أكثر من ذلك، كنت أريد أن أقبلك»

«لم أعرف ذلك، لكننى كنت أريده فقط كنت غير واثقة»

«خنت ذلك؛ ندمت على تحفظى بعد ذلك! لكن هل أخبرك بما أتمناه الآن؟»

«ماذا؟»

«الإفطار، يمكننا تناوله هنا، أو فى المطعم أو...»

نظرت إليه متأملة ما أروع البقاء هكذا بجوارك، هى لا تريد الخروج، لكن من المخجل مجىء الجرسون لغرفة النوم، لم يحدث لها من قبل مالم يضع الإفطار فى الغرفة الأخرى وسألته «ماذا

dodie al Yaoo

عن البديل الآخر؟»

«أتعرفين ما أحب أن أفعله؟»

«لنترك الرفاهية لفترة ونخرج بحثا عن إفطار رخيص فى المدينة»

«لماذا؟ أليس من حقنا تناول الطعام طالما سندفع إيجار الغرفة أم ماذا؟»

«كل شىء مقدم لنا مجانا!!»

«إذن لماذا القلق بشأن المال؟»

«لسنا قلقين، مسألة الافطار هنا سهلة، لكننى أبحث عن التحدى هذا يرضى نزعة العناد عندى»

«أ يعجبك الفندق؟»

«يا حلوة، لم أتمتع برفاهية الفنادق الفخمة كثيرا»

«هذا يعنى أنك تنقلت بين فنادق أخرى كثيرة كنت أظن أن مهندسى الكمبيوتر فقراء!!»

«يدفعون لنا التكاليف، كنت أظنك لا تعيرى إهتماما للمال!! وكم عدد الفنادق الضخمة التى ستقيمين بها عندما تتزوجين زوجا معدما ومعك أطفالك الأربعة؟»

لن تجيبه، لا تستطيع أن تقول أنها ليست مسألة الفندق بل هو، لكنها ليست بهذه السذاجة!!

تابع نظراتها، «فكرى فى الأمر يا حلوة، هيا مازال الوقت مبكرا ولو كنت جائعة نطلب منهم الإفطار هنا»

إرتدوا ملابسهم بسرعة، وتركت هى شعرها منسدلا فوق كتفيها، وخرجوا للتجوال فى العقبة وشوارعها الخلفية، ووجدا محلا صغيرا ملىء بالصناديق والأثاث المنزلى، وتبادل هو مع صاحبه حديثا، وبعد لحظات قدم لها فتاجين القهوة العربية

والخبز واللبن، وبعد ذلك غادروا المحل تبادل الإبتسام والتحية بالعربية ولم يدفع نات أى نقود للرجل، لأنه أصلح له جهاز راديو ترانز ستور وقال لها «أتعرفين ما كنت أوده لنفسى عندما أكبر؟»

«لا استطيع التخمين»

«سائق شاحنة، أتجول كانت تبدو لى حياة طيبة ممتعة»

«كنت أظنك تحب عمل مهندسى الكمبيوتر».

«أحب الهندسة لكن السفر أكثر» سألته «أتعرف أن الإفطار كلفك شيئا؟»

«ماذا؟»

«وقتك»

ضحك «فهمت، لك عقل رجال الأعمال لكن ليس صحيحاً الآن، أنا فى أجازة»

«كم ثمن رغيف الخبز العربى؟»

«بنسات قليلة»

«واللبن الزبادى؟»

«نفس السعر»

«إذن فالإفطار كان مكلفا جدا، أغلى من الفندق، مهارتك أغلى كثيرا من ذلك، سواء كنت تعمل رسمياً أم لا»

«آه، هذا ممتع، وليس عملا، لكنه يستحق مناقشتك معى»

«تقصد أنك تحب مشاهدة الحيرة فى عينى؟»

ألن تنسى ذلك؟ لا، أقصد فقط أنك مليئة بالدهشة، تبدين جميلة مطيعة طيلة الوقت ومجرد اقتناعك بفكرة تصبحين عنيدة جدا، أليس كذلك؟ تريدين أن تقولى أننى خسرت

منشورات ليلاس الثقافية www.lilas.com

منافسة الإفطار بيننا، وتريدين العودة لإكمال إفطارك فى الفندق»

«ليس بالضبط ـ لكننى أحب عصير البرتقال فى الفندق»

فى طريق العودة للفندق إشترى لها عقدا من حبات المرجان الأبيض، عندما إحتجت قال لها «ثمنه جنيه واحد، وبالنسبة لإفطار الفندق استطيع توفير ثمنه فورا»

«نات، لا تستطيع!»

«لو كسبت أنت الرهان، سوف.. أدخلك أفخم مطاعم لندن، ولو كسبت أنا تعطينى قبلة»

«هذه وقاحة!! لا مقارنة بينهما»

«آه، لا تعرفين ما أعنيه بتلك القبلة، ولو عرفت تمنيت أن تفوزى»

طلب منها الرجوع للفندق، للبحث عن فرصة بحريته، وقررت أخذ حمام شمس فى البلكونة، حان وقت الغذاء قبل عودته، وهى مستلقية مرتدية البكينى الأصفر، ونصف نائمة، وفتحت عينيها عندما سمعت رنات عملات معدنية تتساقط فوق معدتها؛ كان واقفا خلفها سألته «كيف حصلت عليها؟» لم تستطع إنكار فوزه بالرهان، وبدأته عندها «هيا نتناول الغذاء»

خرجوا إلى الشاطىء، ورحب به صاحب القارب كأنه صديق قديم وبدأ المركب يبتعد بهم عن الشاطىء، كان قاع القارب مصنوعا من الزجاج شرح لها كيف حصل على القارب «مسألة سهلة جداً، أقنعته بحاجته إلى مساعد، ووافقت على العمل معه بنصف الأجرة، كان لديه قاربين، يعملان بالموتور، وقسمنا العمل بيننا مع فوج سياح أمريكى قدمت نفسى بإعتبارى مرشد يتحدث الإنجليزية، وفى المقابل سمح لنا

بركوب القارب بعد الظهر»

فى القارب شعرت كأنها تغوص فى الماء بقناع الغوص، وشاهدوا الأسماك تحت الماء بألوانها المختلفة، الذهبى والأصفر، والمرجان فى شعاب وغابات؛ والأسماك كأنها طيور تحلق فوق أشجاره.

فجأة قال لها «لى دين يجب أن يسدد، أتذكرين؟، وقررت أخذه الآن»

نظرت إليه، تحت ابتسامته، وثيقة لم تظهرها من قبل، إقتربت منه «لا أحب كونى مدينة لأحد، حتى الذين ينصبون الفخاخ لى ولا يستحقون دفع الدين لهم»

تمنت ألا تنتهى تلك القبلة المحمومة، لا شىء تحتهم سوى الشعاب المرجانية وأعماق البحر الزرقاء، والسماء تظللهم بزرقتها الصافية، وكأن الطبيعة أبت إلا أن تقيم لها حفلا لكنه فجأة وبعد أن أشعل شرارة الرغبة المجنونة قال «أعتبرى أن الدين قد سدد»

دعاها للغوص خارج القارب «انتبهى للشعاب المرجانية فهى حادة وقاتلة»

قفز من القارب وشاهدته يسبح تحته وإنضمت إليه، شعرت ببرودة الماء الشديدة بعد أن أحرقت الشمس بشرتها وجذبت أحد الأفرع المرجانية البيضاء، وبمجرد أن طفت فوق سطح الماء رأت خيط الدماء النازف من ذراعها، كان الجرح خطير رغم أنه ليس مؤلم، وجذبها نات رغم أنه ليس مؤلم، وجذبها نات للقارب «يبدو أننى أخطأت كثيراً اليوم، إربطى الجرح حتى نعود للفندق»

نظرت إليه وهو يحاول ربط الجرح بقميصه «ليس من

www.liilas.com

العدل أن يلوث بالدم، سأستخدم قميصي».

«إليس قميصك، ان يكفي البكيني»

عندما دخلوا الفندق قوبلوا بإهتمام شديد من موظفي الاستقبال؛ وبعض المهتمين من نزلاء الفندق، طلب نات إرسال معاونة طبية للغرفة، وفتح لهم أحد الموظفين باب المصعد وأوصلهم حتى الجناح، وبحسم صرفه نات وقال مازحا لها «كان يتمنى أن يغمى عليك من الألم ويغمى على من منظر الدم، وبذلك يحملك إلى غرفة النوم ويتركني نائما في المصعد، قرأت هذا على وجهه»

وصلت الممرضة الأولى بسرعة مع أحد النزلاء زعم أنه طبيب، ووصف لها أن تشرب البراندى، ودعاهم على العشاء، واتهمت نات «موهبتك في تكوين أصدقاء»

«بفضلك هذه المرة لم يقاوم عيونك الزرقاء»

شعرت بإهتمامه الفائق بها، وصارحته «أنا أحبك يا نات»

«ماذا عن زوج المستقبل الفقير وانجاب الأطفال؟»

«لم أفكر أراني، لكنها تمنيات للمستقبل ربما لن تحدث.. لكنني أريدك أنت الآن، وليس شخصا خياليا في الأحلام فقط ربما لن يوجد أصلا، لكنني أحبك»

ربما ادهشه رأيها البرجماتي، حدق فيها مستغربا، وتحيرت هي، يا إلهي حتى مصارحتي له لا تعجبه، هو لا يريد تعجل فتيات المدارس، كان من الغباء أن أعترف له.

خيم صمته كسحابة كئيبة حجبت عنها الأمل، ولم تعد تتحمله، ولم تقاوم دموعها التي غطت وجهها وإستدارت لتخفيها عنه، فهي لا تدري كيف حدث هذا، لكن فجأة إقترب منها واحتضنها «أحبك»

«هل جرحت مشاعرك؟»

«إش!!»

«سوزي أريد أن أقول لك شيئاً...»

«ليس الآن يا نات لا تفسد جمال اللحظة»

وبعد أن تحطمت حياتها إلى أشلاء، لم تصدق أنها قالت تلك الكلمات!!

منتديات ليلاس الثقافية
www.liilas.com

الفصل الثامن

الحبيب الغامض

لو كانت وحدها ستصل سوزى إلى المطار فى الساعات المبكرة من الصباح، خائفة من التخلف عن طائرتها، لكن مع نات تغير كل شىء، لقد عدل موعد سفره ليسافرا معا، ظلوا فى الشقة حتى اللحظة الأخيرة، روت النباتات ورتبت الغرف، وجلسا على الأريكة ونسيا الوقت حتى أعادهما جرس الباب إلى الواقع، وحضر فهد لتوصيلهم إلى المطار، وعند وصولهم إلى المطار دخلوا صالة السفر مباشرة، فلقد تأخرت الطائرة عن موعد إقلاعها نصف ساعة، وأثناء الإنتظار جلسوا يتحدثون مع فهد وتعجبت هى كيف خافت منه ذات يوم!!

رأته مجدداً، وجدته وسيما ودوداً، مرحاً. يا للعجب لتأثير الخوف على آرائنا، وها هى عائدة الآن إلى لندن وأصدقائها وعملها بشخصية جديدة، وطريقة جديدة لحياتها حتى أمسياتها ستقضيها مع نات فى شقته، وتعجبت كيف سيكون رد كاترينا عندما تعرف ما حدث لها، كانت تبتسم لفهد، حتى ظهر شاب إنجليزى يرتدى بدلة رجل أعمال ورباط عنق أسود رغم الحر، ويحمل حقيبتين كان يبدو عليه التعجل، وعندما لمح

نات «مستر لبارد؟ شكراً للسماء لأننى وجدتك، سيدى، أنا آسف، لكن يجب ألغاء سفرك، حاولنا الإتصال بك ولم نستطع العثور على مكانك» ابتسم ببرود إلى سوزى، وسلم نات بعض مطبوعات الكمبيوتر، وتصفحها ووضعها فى جيبه، ووقف مبتعداً عنهما، هى وفهد، سمعته لأول مرة يقسم ويتبادل مع الشاب حديثا وسمعته يقول له «لماذا لم ترسل شخصاً آخر؟»

«لم يستطيعوا إتخاذ قرار بدونك، الأمر يحتاج تفاوض، معنا طائرة فى إنتظارنا متى تكون مستعد يا سيدى؟»

شعرت بأن خطأ قد حدث، لاتدرى ما هو، وإقترب نات منها وقبلها وقال «عزيزتى، لن استطيع السفر معك يجب أن أسافر إلى دبى أولاً، وسأتصل بك فورا، هذا أسوأ وقت، لم يحدث لى شىء كهذا أبداً، أكره أن أتركك بمفردك»

«لا تكن سخيفا، يا نات، إنه عملك، يجب أن تسافر، أفهم ذلك»

«سوزى ....»

إبتسمت ثانية «استطيع العودة للمنزل وحدى كما تعرف!»

«حقاً؟، سأتصل بك»

وقال لفهد وهو يودعها «إهتم بها يا فهد حتى تقلع الطائرة، هى صغيرة جداً، ولا يعتمد عليها وحدها! سنراك فى لندن معنا»

ظهر الشاب الإنجليزى مرة أخرى، وقبل أن يتركها لدغها نات «شىء لتتذكرينى به!!» رأت فهد يضحك وسألها «أراك قد تغيرت منذ رأيتك فى بيترا؟»

منتديات ليلاس الثقافية
www.liilas.com

«نات شخص غير عادى»

وافقها فهد «مجنون، لكنه مجنون ذكى، كما تقولون فى لندن لا تخطئه العين!!»

«ماذا تعنى؟»

«ليس مهندسا عاديا، أعرف كثيرين ليسوا مثله، ما كان يتحدث عنه الآن عندما وصل الشاب بحقيبته؟»

«لست واثقة، كان الشاب يتحدث عن إحتياج وقرارات، لم أفهم»

«ولا أنا.. لو كان مهندس كمبيوتر، فهو مثل الذى يصلح التليفزيون، وليس الذى يتخذ قراراً بشأن الشركة؟ الذين يفعلون ذلك هم المدراء أو الشركاء».

ضحكت سوزى؛ فهى لا تفهم ما كان يتحدث عنه نات؛ رغم معقولية كلام فهد: لكن لماذا يكذب نات؟ لا معنى لذلك.

تناول فهد يدها وهو يودعها وقبلها، وهى تمر عبر فحص الحقائب، شعرت بأن عالمها صار رومانسيا فالأجازة التى كانت على وشك أن تكون كارثة أصبحت أسعد أيام حياتها، وفى الطائرة إسترجعت مراراً يومها الأخير معه، حيث غادرا العقبة فى وقت متأخر جداً، وعند وصولهم عمان أصر نات على شراء هامبورجر وأخذه معهم للشقة «يمكنك طهيه عندما تعود إلى لندن مادمت شغوفة بذلك، ومع ذلك سنتناوله كذكرى لأول وجبة أكلناها معاً»

تذكرت كيف أكلوا الهامبورجر فى الشارع تلك المرة، عندما كانت غير واثقة منه، لكنه الآن، بمرحه وطيبته وذكائه سرق قلبها، وهى واثقة أنها لن تحب أحد مثلما أحبته.

مازال معه كل نقودها الأردنية، لكن معها تذكرة عودة من مطار هيثرو إلى وسط لندن، ونقود كافية لإعادتها للشقة، وعندما وصلت لم يدهشها وجود كومة أطباق غير نظيفة على مائدة المطبخ، وزجاجتى خمر فى غرفة المعيشة، هذا يعنى أن كاترينا قد عادت من حيثما أخذت بوب، نظفت سوزى كل شىء قبل سفرها للأردن!! ربما كاترينا الآن فى العمل، شعرت هى بالراحة، فهى مازالت غارقة فى حلمها وتتمنى سماع مكالمة نات، لقد أعطته رقم تليفونها وتوقعت إتصاله بها فى المساء، وخرجت للتسوق بعد أن إكتشفت خلو الثلاجة والمطبخ، ومضت بقية اليوم فى غسل ملابسها وتنظيف الشقة، ولم تشعر بالحاجة للطعام، مازالت تفكر فى نات غير واثقة من إختلاف التوقيت، بين لندن وديى، وتذكرت حديثها مع فهد، وتعجبت عن ذلك الذى أبعد نات بلا توقع، والطريقة التى خاطبه بها الشاب، وكانت الساعة الحادية عشر والنصف، عندما سمعت كاترينا تفتح الباب، «سوزى، جئت أخيراً» كانت تحمل صندوق بين ذراعيها، وحقيبة يد ثمينة «أغلقى الباب؟ كنت سأقع بذلك على السلم» كاترينا فى نفس طول سوزى شقراء الشعر المنسدل على ذراعيها وبعيون واسعة، جاذبيتها لا تقاوم، سعدت سوزى برؤيتها، ومع ذلك تزايد إحباطها لعدم سماعها مكالمة نات، سألت كاترينا وهى تغلق الباب «ما الذى جئت به؟»

«إنه جيردل ثلج إشتراه لى بوب اليوم من محلات هارودز، آه يا سوزى، هو لطيف جداً!! لم يتوقف عن شراء الهدايا لى، كنت أتناول العشاء معه الآن، يعتقد أن هارودز أفضل محلات لندن، لأنه أمريكى ربما لم يسمع إلا عنه» أين ستضع هذا؟

www.liilas.com

ستقيم حفلة شراب، وتستخدمه، هل قضيت وقتاً ممتعاً؟ نبدين سعيدة»

إبتسمت سوزى، وضعت الجردل فوق المائدة، فى غرفة المعيشة، وسألتها كاترينا «ماذا حدث لذراعك؟»

«آه، لقد جرحته فى الشعاب المرجانية هو بخير الآن، لم يجرح جرحا خطيراً»

«هل ذهبت إلى العقبة؟ لقد أخذنى بوب هناك، السباحة رائعة، لكن الشوارع الخلفية مرعبة، أقنا فى فندق فخم، كلفنا كثيرا، لكن بوب لا يهمه، تناولنا الإفطار فى السرير، وطلبنا مشروبات طيلة الوقت، ماذا فعلت بعد أن سافرت أنا وبوب؟ هل ذهبت إلى بيترا؟ ذهبنا إليها فى اليوم التالى، قضينا وقتاً ممتعاً فى تسلق الصخور ومشاهدة غروب الشمس»

«نعم»

«ماذا فعلت بعد ذلك؟»

«قابلت شخصا، وقضيت معظم وقتى معه»

«أعرف أنك ستفعلين ذلك، بوب كان قلقا عليك، ولو كان لديه وقت لما تركتك أبداً، لكنه أسبوع فقط، ونحن دائماً نقابل الناس، أليس كذلك؟»

إبتسمت سوزى ولم تجب.

عندما دق جرس التليفون بعد منتصف الليل كانت تشرب الشاى مع كاترينا، فى المطبخ، كانت كاترينا تتحدث عن بوب، قفزت سوزى لكن كاترينا سبقتها «مؤكد أنه بوب قال أنه سيتصل»

أثبتت صحة توقعها، بعد ذلك ذهبت سوزى لتنام، لم يعد هناك أمل فى الإنتظار»

بعد يوم عمل شاق، عادت إلى الشقة، لتجد كاترينا متعجلة «يجب أن أخرج بعد نصف ساعة»

سألتها «من هذا الشخص الذى إلتقت به فى الأردن؟ ما إسمه؟»

ابتسمت سوزى متذكرة أول لقاء لها معه «أحمد»

«أحمد؟ تقصدين أنه عربى؟ سوزى هذا غير معقول!!»

«هو إنجليزى حقيقى، إسمه نات»

«رومانسية مدهشة! كنت على وشك الإغتصاب فى مدينة الأشباح ثم ينقذنى رجلان عربيان على ظهرى جواديهما، يتحول أحدهما ليصبح إنجليزى متنكر!! ما عمله الحقيقى؟»

واستطردت كاترينا «هل هو وسيم؟».

«نعم، وسيم جداً»

«هل ستقابليه مرة ثانية؟»

«ماذا؟»

«هل ستقابلين نات مرة ثانية، أم مجرد أجازة ونزوة عابرة؟»

«من ذكر النزوات؟»

«آه، إستمرى يا سوزى، منذ عودتك وعينك معلقة بنجوم السماء، غارقة فى أحلامك على غير المعتاد»

«نعم، عندما يعود من واشنطن»

«لماذا لا تتصلى به؟»

«ليس معى رقمه»

«ولا رقم الشقة، ربما تجدينه هرب!!»

«هو الذى سيتصل بى»

«حسنا، إن لم يتصل بعد يومين، إنسى كل شىء عنه،

www.liilas.com

ولا تأملى كثيراً »

« نات ليس من هذا النوع ، إن لم يتصل بى ، فلديه عذر قوى ، وسأراه عندما يعود »

كانت واثقة منه ؛ لكنها تذكرت حديث فهد ، وبدأ التغير التدريجى من التوتر إلى التوقع ثم الشك المرير ، ثم نوع من الإقتناع بكلام كاترينا وصدق رأيها .

فى البداية كانت هناك أعذار كثيرة ، نات مشغول ، لا يستطيع الإتصال ، فقد رقها سعود ، ليفاجئها . لكن بالتدريج بدأت الشكوك تطرح ثمارها .

رفضت دعوة أسرتها لقضاء نهاية الاسبوع فى كمبردج شاير ، متوقعة مكالمته ، وقضت يومين تعيسة فى الشقة ، مرارا تحملت تلميحات كاترينا الساخرة ، ربما هى تفهم الرجال أكثر لخبرتها ، لكنها تشك فى حكمها على نات !! لماذا يكذب عليها ؟ عاملها كإبنة أخيه ولم يكن حريصا على التورط معها ، كان يحميها حتى من نفسها ، وحتى اللحظة الأخيرة جعلها تتأكد من حقيقة خيارها ورغبتها !!

لكن بدأت تنهشها الشكوك الحادة ، ربما كانت كاترينا صادقة وهى مجرد نزوة عابرة فى حياته ، هو كثير السفر ، أكبر منها ، لديه كثيرات عشيقات ، ولم يعجب عنها معرفة ذلك . ربما أتاحت وهى له الفرصة ، ربما كان يريد أن يقول لها هذا عندما طلبت تأجيل كلامه ، لكن كما قال لقد حدث كل شىء بسرعة ، كان سهلا عليها أن تقع أسيرة رغباتها ، ولم يكن سهلا على رجل أن يخبر فتاة عذراء لم يلمسها أحد قبله ؛ أنه غير مقيد بأى إلتزام ناحيتها ، خصوصا ، عندما يربطه بها إهتمام مشترك وعلاقة صداقة ، كما حدث بينهما !!

تفكرت مراراً وإسترجعت تعليقات كاترينا الساخرة ، وكلمات فهد ، فى المطار ومخاطبة الشاب له بـ« سيدى » ، والساعة الذهبية التى كان يرتديها ، بينما يدعى أنه فقير !!

مضى إسبوع آخر ، ارتكبت أخطاء كثيرة فى عملها ، واعتذرت مراراً ، وانتحت فى حمام السيدات لتبكى وحدها ، وذات ليلة عادت كاترينا فجأة لتجدها جالسة على مقعدها فى الشقة تبكى وكأن قلبها يتمزق ، « سوزى عزيزتى ماذا حدث ؟ » وأضأت نور الغرفة !! »

« هل هناك شىء حدث فى المنزل ؟ »

هزت سوزى رأسها ، جلست كاترينا بجوارها وإحتضنها ، ورتبت على كتفيها « لا تبكى ، يا عزيزتى ، ليست الأمور بهذا السوء »

« وهو كذلك ، لا يهمنى ... »

« طبعا ، لا يهمك ! لم أراك تبكى هكذا أبداً إنه بسبب مهندس الكمبيوتر اللعين ، ذلك الملعون الذى يسمى نفسه عبده !! »

« أحمد !! »

« نفس الشىء ، آه يا سوزى ، آسفة ما إسمه ؟ »

« نات »

« ماهذا الإسم بحق السماء ؟ لا تحزنى على هذا الإنتهازى ، أنت جميلة ، هل نمت معه ؟ »

أومأت سوزى برأسها

« آه يا عزيزتى ! لا عجب لغضبك إذن »

« عاهديتى على نسيانه خلال يوم ، وسنشرب نصف زجاجة براندى أحضرها بوب حتى تنسى وتضمدين جراحك ، سأشرب

www.liilas.com

تعاطفا معك ولو إتصل سأؤدبه ! »

« نات ليس من النوع الذى تعتقدين . يا كاترينا ، مختلف عمن نقابلهم ، واثقة أنه سيتصل بى »

« حسنا ، أظنه تصرف بشكل ردىء إذن نشرب وننسى لفترة »

بعد فترة عادت كاترينا فى يدها زجاجة « كورفوازير » .

الفصـــل التاسع

لن أعود إليه

منتديات ليلاس الثقافية
www.liilas.com

قالت كاترينا « أنا مدعوة لحفلة ليلة باكر ، وتأتين معى ، إنه يوم الجمعة ، وموعد بدء أجازة نهاية الأسبوع »

إعترضت سوزى « بشرف كاترينا لافائدة لى فى ذلك ، لطيف منك أن تطلب منى الحضور ، لكنك ستمتعين بالحفلة مع يوب بشكل أفضل »

« هراء ! على أى حال ، لن تتراجعى يوب معه صديق أمريكى بحاجة لرفيقة الليلة ، لقد قابلته ، ليس وسيما جدا ، لكنه شاب لطيف وديع ، هذا ما نحتاجينه بعد نات الشرير »

« لا يا كاترينا »

لكنها فى النهاية قررت الذهاب معها بدلاً من زيارة الأسرة وعجزها عن تلفيق الأكاذيب لزوجة أبيها ، ولكن كالعادة ، تركت ذكرى نات جرحا غائرا داخلها لن ينمحى ، وعندما إتجهت لدولاب ملابسها ، شاهدت القميص الأزرق الغامق الذى كانت ترتديه معه فى عمان ، ووجدت كاترينا خلفها « اليس هذا ، فهو يلائمك جدا ، ومناسب للحفلة »

ترددت سوزى ، ثم إرتدته ، وإرتدت مجوهرات أكثر مما

إعتادت «تبدين رائعة جميلة وجذابة، أنا سعيدة لإسدالك شعرك للخلف، يبدو مثيراً جداً»

لم تجبها سوزى، هى تريد تأكيد ثقتها بطريقة إرتدائها، لكن المسألة كلها تمثيل فالمظهر مجرد قناع للتخفى.

ركبوا المترو إلى ميدان بيكاديللى، كانت كاترينا تتأثر طيلة الطريق، سوزى تنصت فقط، غير مصدقة ما هى مقدمة على فعله، يبدو حلما جديدا، سمعت كاترينا تقول أنها متجهان لحفلة شراب عمل، حيث يحضر بوب ومعظم الضيوف ذوى نفوذ هائل «قلت لبوب أن يهتم بتقديمى لبعض المليونيرات كأفضل وسيلة لإحتفاظه بى!!»

قالت سوزى «أظن أن بوب كان مليونيرا» حسنا، نصف مليونير، لكنه جيل جداً، لكننا سنقابل شابين من كبرى الشركات أحدهما له شركة خاصة به، وكون ملايين، والآخر يدير شركة متعددة الجنسيات فى الولايات المتحدة، بوب تحديداً دخل المنافسة!!»

قابلهم بوب عند مدخل الفندق، إنبهرت بأجواء الثراء الباهظ واسترجعت سوزى أيامها الخوالى، وتابعت بوب وكاترينا بلا إهتمام، واتجه بوب إلى الجناح المخصص للحفلة، وقدمها إلى شاب أمريكى طويل حسن المظهر إسمه تيم، ابتسمت وأبدت إهتمامها بالحديث لأجل كاترينا، وتقبلن الشراب الذى قدمه بوب لها دون سؤال عنه، وسألها بوب «ألا تشعرين بإرتياح؟»، وجدت تيم شاب طويل جميل ذى ابتسامة جذابة وأسنان ناصعة تصلح للإعلانات وبشرة أمريكية تقليدية، ابتسمت له «مجرد صداع، لكننى بخير»

«تبدين شاحبة، هذا بسبب شمس الأردن» ضحكت

كاترينا وعلق تيم «استمر يابوب، أين كل تلك الفتنة والسحر؟ تبدو وكأنك تنتقد الفتاة، بطريقة مظهرها يبدو أن سوزى تطلق موضة جديدة» وجدته سوزى جذابا، لطيفا، ولولا نات لإهتمت به، وقال لها «أخبرينى عن تلك الأجازة المدهشة ماذا حدث لك عندما إختطف بوب كاترينا؟»

«إنها كاترينا التى قضت اجازة مدهشة يجب أن تسألها، لكن ماذا تعمل يا تيم؟ ماذا جاء بك إلى لندن؟»

كان تيم سعيدا ليحدثها عن نفسه، يطير فرحا بإهتمامها به، لكنه كان يشغل نصف تفكيرها بدون تركيز، دائما تقول لنفسها، لاتتذكرى، لاتفكرى فى شىء يذكرك بنات، لقد إنتهى. لقد استمتعت بوقتك معه. هذا الرجل تيم يستحق إهتمامك، فهو يبذل مجهود ليبدو لطيفا معك وعلى الأقل يجب أن تنصتى له.. آه يانات!!

وجدت نفسها مستمرة فى الوقوف مع تيم، وعندما كان يقدم لشخص كان يصر على تقديمها أيضاً، عرفت إمرأتين من معارف كاترينا.

كانت واقفة تحادث تيم عندما جاء بوب خلفها، ولمس كتفها «تيم، سوزى، أريد أن أعرفكما على ناتان ليارد».

إلتفتت سوزى لتجد نفسها تنظر إلى شخص مرتديا بدلة رجل أعمال، وربطة عنق ثمينة عيونه عسلية، متقلبة كموج البحر، ويحدق فيها، إنتهى التعارف «كاترينا هذا ناتان ليارد الذى سمعت عنه كثيرا ناتان، كاترينا لبديل...»

كان أطول مما تذكرت، أكثر جاذبية ذى أهمية بالغة، ويتحرك ببرود، حتى شعره أنعم مما كان، ويرتدى أحد قصانه المفضلة لكن بأزرار ذهبية.

www.liilas.com

نات.

للحظة توقف قلبها وغابت عنها الدنيا لم تعد ترى أو تسمع شيئاً. مهما كان المبرر فليس له عذر بوجوده فى لندن.. لندن!! دون الإتصال بها، إن كان ماقاله لها عن حبه حقيقياً!!

لكن هذا الرجل ببدلته الفاخرة ليس نات الذى تعرفه، والآن بدون وعى إسترجعت المعلومات التى تعرفها، وهى تعلم أيضاً أنه أحد الذين تكلمت كاترينا عنهم، أحد الذين يكونون ثروة لهم وللآخرين ويديرشركة متعددة الجنسيات لم يمتلك شركة خاصة به.

لا، لم يحدث، لأنه ليس نات، الذى أحبته، بمرارة تذكرت أمها وأدركت أنها عندما حاولت تجنب غلطتها ولأسباب مختلفة تقريباً إرتكبت نفس الخطأ! يبدو أنها قاعدة لا إستثناء لها: لم يخبرها حتى بحقيقة نفسه.. كان يمثل دوره طيلة الوقت!

تلك العيون التى سهرت تفكر فيها؛ الآن تنظر إليها، بلا إبتسام ولم يتفوه حتى بكلمة، ناولت كأسها لبوب، وولت هاربة، سمعت نات يناديها «سوزى!» لكنها لم تتوقف؛ حتى لإستعادة الجاكت الخفيف الذى تركته فى غرفة ملابس المدعوين.

ركبت التاكسى بلا تردد، لابد أن تهرب وتعود لشقتها، ولا يهمها ماذا يقول عنها بوب الآن، تيم، كاترينا لكن ربما كاترينا ستفهم الأمر عندما تعرف من يكون ناثان لبارد.

الآن أقلعت عن الأمل، لم تكن تصدق أن كل شىء قد إنتهى حتى الآن، لم يخبرها بما حدث له، فى الواقع كذب

عليها، وهى حقاء لأنها توقعت أن يتذكرها بعد تلك الإجازة الرومانية تذكرت أنه لم يصارحها بكلمة حب واحدة طيلة لم يكن لديه نية إستمرار علاقتها كان يلعب معها لعبة مسلية، ربما سأم الفتيات اللاتى يطاردهن، وجدها مختلفة، ربما يتصل بها ذات يوم، طبعاً، لتخرج معه عندما يكون متعباً وعندما يسأم فتياته، لن تنسى تعبيرات وجهه، البرود، عندما قدمه بوب للتعارف. حتى لم ينظر إليها، رحب بها كأى فتاة غريبة لا يعرفها، تعبير وجهه تغير لشىء لاتريد تذكره، كان متدهشاً، صدمة، ربما لأنه رآها ظلت متماسكة حتى دفعت أجرة التاكسى ودخلت شقتها، بعد فترة سمعت جرس التليفون، إستلقت على الأريكة، عاجزة عن البكاء، أصبح عالمها فجأة بلا هدف أدركت كم شيدته على تلك العلاقة الزائفة.

تذكرت ماقاله له «أريدك أنت وليس شخصا وهميا قابع فى الأحلام فقط وربما لن يظهر للحقيقة أبداً...»

نات كان حلمها، مستقبلها، وبحماقة فرقت بينه وبين الحلم.

طبعاً كانت متعلقة بالأمل، بأنه سيتصل بها، واختلقت الأعذار له ولم يحدث، ولكنها رأته أخيراً فى لندن فى أجواء مختلفة عن تلك التى حلمت بها، وتبدد خيط الأمل الرفيع.

دق جرس التليفون مرة أخرى «سوزى؟» كان صوت كاترينا «أنت مغفلة! لماذا لم تخبرينى أن حبيبك نات هو ناثان لبارد؟ ألا تعرفى أنه صاحب أهم شركة فى عالم الاليكترونيات والباقى يأتى خلفه؟ إن لم تعودى الآن، سأطارده أنا لنفسى، سوزى؟»

«أنا لن.. لن أعود إليه، آسفة من فضلك إعتذرى لتيم

www.liilas.com

وبوب »

« لا تكوني سخيفة ! ناتان يريد أن يراك ، سيأتي للشقة فوراً عندما يستطيع أن يتخلص من الضيوف إتصلت بك من قبل ، وجدك لم تعودي »

إذن هو الذي كان يتصل بي « لا تخرجي إلا بعد أن يجيئك ! »

أرعبتها فكرة مقابلة نات هنا الآن ، ليس نات ، بل ناتان ، ماذا يريد منها ؟ ليس بيننا ما يقال الآن ، وهي لا تريد رؤيته ، لكن ليس بمقدورها التسكع في الشوارع لتجنب رؤيته .

لو جاء ، ربما يظنها خرجت رغم تحذير كاترينا ، إستلقت في سريرها وغطت وجهها بالغطاء ووضعت أصابعها في أذنيها ، لا تريد سماع طرقات الباب ، لكن لن تستطيع إبعاد أفكارها ، خياله ، صور الذكريات القريبة معه ، طبعاً ، هو معتاد على العيش في فنادق فخمة ، دائماً كان يقول لها أنه يحب التحدي ، لماذا لم تدرك أنها نفسها تمثل تحديا لها .. له كرجل أعمال سأم كل شيء ويريد أن يلعب ، يتنكر أنه فقير ولحماقتها يتسلى بها ، لكنه لم تطيل عمر اللعبة معها لسذاجتها وجعلته يفوز بها سريعا .

لكن الجرح المؤلم ، عندما تتأمل ماحدث بعقلانية ، ورغم كل ماقيل بينهما فلا أساس حقيقي لعلاقتهما ، هي واثقة أنه سيجيء لرؤيته فقط الآن كاترينا أهانته ، سمعت جرس الباب « سوزى .. سوزى ! إنه أنا إفتحي الباب ! » تقلبت في سريرها وبكت ، وكأنها تطهر روحها ، في الصباح سمعت التليفون ، تجاهلته أول مرة وفي المرة الثانية رفعت السماعة وسمعت « سوزى يجب أن أتحدث معك .. »

إنه نات ، وضعت السماعة دون كلمة ، وبكت ، وخرجت للتسوق ، كاترينا قضت ليلة أمس خارج الشقة ربما مع بوب ، وبعد فترة إتصلت بزوجة أبيها وأخبرت بقدومها في قطار ما بعد الظهر ، وسمعتها « هل أنت بخير يا عزيزتي ؟ صوتك محبط » .

تركت رسالة لكاترينا ، واتجهت إلى محطة مترو الإنفاق ، لدهشتها إنقضى الوقت بسرعة ، كانت أختها مع زملاء المدرسة في عطلة نهاية الأسبوع ، في رحلة مدرسية ، أوصلها الوالد إلى المحطة ، تبادل معها الحديث في الطريق ، وبالقرب من المحطة سألها « هل أمورك على مايرام ياسوزى ؟ يجب أن تخبريني لو كان هناك خطأ ؟ »

أومأت دون كلام .

« هل أمورك مع كاترينا في الشقة على مايرام ؟ مازالت في عملك ؟ »

« بشرف يا أبي ، كل شيء تمام »

« يجب أن تعتمدي على لويزا دائماً وعلي ، أليس كذلك يا حبيبتي ؟ مهما كان »

أومأت مرة أخرى .

« لو كانت مشكلة مع صديق لك يجب أن ترسليه لي ! تذكري العشاق مثل الأتوبيسات ، يأتون دائماً كل وقت »

« شكراً يا أبي ، ربما أعود الأسبوع القادم »

« سنفرش السجادة الحمراء وداعاً حبيبتي إهتمي بنفسك »

« وداعاً يا أبي ! »

عندما عادت إلى الشقة وجدت باقة زهور ضخمة في منتصف الصالة كانت كاترينا تغسل شعرها .

« الزهور لك من معجب وظان ناتان ليارد ، قرأت البطاقة »

www.liilas.com

جاءت كاترينا «ألن تفتحى باقة الزهور أنها غالية جداً، لقد رويتها بالماء أمس»

«حسنا، لن أفتحها» تناولت الباقة وألقتها فى سلة المهملات وبلا كلمة إتجهت إلى غرفة نومها وأغلقت الباب، وعندما خرجت بعد ذلك وجدت كاترينا فى إنتظار بوب وأعادت تنسيق الزهور فى جردل الثلج، والبطاقة فوقها

«بشرف يا سوزى لا تتمادى فى عنادك؟ كل ما حدث أنه نسى أن يتصل بك، وكان قادماً من المطار عندما جاء الخفلة!!»

إلتفتت سوزى والأسى ينضح من عينيها، لا تريد أن تناقشها، «كاترينا، ألن تصدقى مرة واحدة ما أقوله؟ لن أرد على تليفوناته. ولا يهمنى أنه لم يتصل بى، ولا يهمنى هروبى من الحفلة، لكن يهمنى.. يهمنى كثيراً... كثيراً.. أن الرجل الذى تعرفى أنه ناتان ليارد مختلف تماماً عن الرجل الذى عرفته عن نات.. عندما تفهمى ذلك أليست تلك لعبة رجل ثرى..»

حدقت كاترينا صامتة للحظة «هذا غباء منك يا سوزى، وتعرفين ذلك! هو وهان بك! أول شىء أراد أن يفعله عندما عاد إلى إنجلترا، أين يراك»

«وهو كذلك، إذن لتعود إلى إتصال التليفون، هل سألك عن رقم التليفون فى الحفلة؟»

«لا، كان معه»

«إذن كان يقدوره الإتصال بى، لكنه لم يفعل قبل ذلك، ولا يهم، عموما لن أتحدث عنه بعد ذلك!»

«سأنتظر بوب، أنت مستحيلة»

تطلعت إلى باقة الزهور، والبطاقة التى فى وسطها،

وقرأتها.

«عزيزتى سوزى» ولم تكلها نزعتها وألقت بها فى سلة المهملات، ونقلت الباقة إلى غرفة كاترينا.

منتديات ليلاس الثقافيه
www.liilas.com

الفصل العاشر

بين الحقيقة والخيال

لم يتوقف نات عن الإتصال بها، ولم ييأس، فى الصباح، وما بعده، وتوالت باقات الزهور يوميا، ووجدت بطاقة وقرأتها: «سوزى إقرأى هذا! يجب أن أراك. نات»

قالت لها كاترينا «ماذا حدث لك بحق السماء؟ ألطف رجل فى لندن يرسل لك يومياً أغلى الزهور ويتوسل إليك لتتحدثى إليه مجرد خمس دقائق! ماذا بمقدور أى شخص أن يفعل؟»

داخلها يغلى بعواطف متصارعة، هى تتشوق لرؤيته، لتسمعه يعترف أنها خطأ رهيب.. وفى نفس الوقت صوت بارد يقول لها ليس هو نات بل ناثان ليارد، وأى كلام منه لن يغير شيئاً، هو رجل ثرى جداً، الجميع عداها يعرف ذلك، ووسطه هم الناس الذين تكره الاختلاط بهم وأهدافه الحقيقية فى الحياة هى تلك التى تحتقرها، رغم ذلك قالت لكاترينا «الزهور لا تكلفه كثيراً، عندما كان فى عمان كان كل شىء مختلفاً لن تفهمى! لم يرسل أبداً زهور ثمينة كهذه، ولم تكن تلك نظرته للأمور!!»

طوقتها كاترينا بذراعيها بتعاطف «أيه يا حلوة.. إنتظرى دقيقة، ألن تسأم من هنا؟ إنه نفس الرجل نات أو ناثان.. تذكرى؟»

«لكنه ليس هو! عندما رأيته فى تلك الحفلة، كان ثرى جداً، وبالغ النفوذ والأهمية، والجميع يشعر بأهميته بسبب أمواله.. لكن نات رجل عادى»

«سوزى، هذا ليس رجلاً عادياً! ولم تُنتظرى لتشاهديه فى الحفلة لقد كون ثروة طائلة وعمره ثلاثون عاما، وبوب أكد أنه لا يبالى بها تخيلى أنه قد يخسرها كلها غداً ويصبح شحاذا، سيبدأ من جديد تظنى أنه سىء لأنه ثرى، أعرف أنك تعتبرينى خاطئة لأننى أجرى خلف الأثرياء مثل بوب رغم أن بوب يختلف عن جميع من قابلتهم قبله، لكن هذا ليس ما أريد أن أقوله أعرف أن من الخطأ الإعتقاد بأن المال هو كل شىء فى الحياة، لكنك تنظرين للأمور من زاوية واحدة، تقولين أن المال سىء، وبالتالى فكل الأثرياء أشرار، وفاسدين لكننا نتحدث عن إناس بعينهم، نتحدث عن رجل واحد هو نات»

«ليست مسألة المال، بل كل شىء! لم يخبرنى بالحقيقة، تظاهر أنه مهندس عادى، وراتبه ضئيل، كل ما قاله غير حقيقى!»

«حسنا، لو أراد أن يوضح لك أليس من المفروض أن تستمعى له قبل كل شىء لقد أتاح لك وقتاً سعيداً ومهما كانت أرائك عن المال، يا سوزى، اليست كل المتعة التى عشتها فى الأردن تحققت بالمال، ربما ليس نات هو الذى دفعه، لكن المال يفيد الرومانسية، عندما يتيح لك العيش فى شقة واسعة وفنادق فخمة»

منتديات ليلاس الجديدة
www.lilas.com

هزت سوزى رأسها.

فى اليوم التالى لم يرسل زهور كانت كاترينا على وشك الرحيل، «سأتناول الغذاء مع السيد ناثان ليارد اليوم»

ظلت سوزى صامتة.

«قولى شيئاً! ألست مهتمة؟»

سارت سوزى إلى المطبخ «لا أريد أن أسمع شيئاً عنه كاترينا، من فضلك! أريد أن أنسى كل شىء»

«حسناً، ربما يريد هو الآخر نسيان كل شىء عنك، لقد دعانى للغذاء غداً أيضاً»

للمرة الأولى فى حياتها شعرت بمرارة الغيرة الحمقاء، ماذا جرى لها؟ لم تجرب تلك العاطفة من قبل، والآن غيورة من كاترينا! فعلا هى صادقة عندما قالت لا شأن لها بـناثان ليارد وكل ثروته ونفوذه، لكن ما يؤلمها أن ترى كاترينا تنصب له فخا الآن وتفضله طبعاً على بوب! لكن نات...

وضعت نفسها فى موقف مستحيل وهى تعرف ذلك. لو رفضت نات، مؤكد كاترينا حقها السعى خلفه لإصطياده، من ناحية أخرى، ماذا يجعله يخرج معها كثيراً، بينما قال لها هى أنه يحبها؟

لا يهمها خروجه مع نصف فتيات لندن، لكنها لا تدرى كيف تتحمل ذلك.

فى المساء إتصلت بالأسرة، لتخبرهم بزيارتها لهم فى عطلة نهاية الأسبوع طالما لا تستطيع البقاء فى لندن، ستقول لهم أنها مريضة أو فى أجازة من العمل، ولن تعود كاترينا إلا فى وقت متأخر، وستنام هى مبكراً، حتى لا تسمع عنه.

فى يوم الجمعة، فى الصباح، وهى تستعد للسفر للعائلة،

وقبل إرتداء ملابسها، وذهابها للعمل، سمعت جرس الباب، إنتظرت حتى دق مرة أخرى، ظنت أنه بائع اللبن، إرتدت الكيمونو الحريرى فوق ملابسها الداخلية، وتناولت نقود اللبن من صندوق فى غرفة المعيشة، وفتحت الباب، وجدت صبى مرتدياً زى مدرسى، وقبعة ورابطة عنق «رسالة خاصة» وسلمها باقة ورد أصفر. نظرت فى دهشة، وسألته «أواثق؟ ربما أخطأت الشقة»

نظر إلى رقم الباب «لا، إنها نفس الشقة» وقف محدقاً بها سألته «هل تعرف من أرسلها؟ سمعت وقع أقدام على السلم، «سيمون، تعالى!»

إلتفت الغلام وأجاب من يناديه «أنا قادم! إنتظر دقيقة» إستدار إلى سوزى «إلى اللقاء»

وإختفى.

تأملت الزهور وأغلقت الباب وأسرعت إلى نافذة غرفة المعيشة ونظرت إلى الشارع، ظهر الغلام كان يحادث من يسير خلفه، وكانت سيارة سوداء واقفة بجوار الطوار وفتح الباب عندما وصل الغلام وظهرت فتاة خلف الصبى، أطول منه خصلات شعرها البنى تنسدل فوق ظهرها، ترتدى زياً مدرسياً وقبل أن تعبر إلى الطوار نظرت لأعلى ناحية سوزى، وتلاقت العيون، وإبتسمت الفتاة، كان وجهها مثل الصبى شاحباً، نحيفاً.

وهى تتأمل الزهور ظنت أن الأولاد جاءوا خطأ، لكنهم أظهروا فضولا شديداً تجاهها، ولمحت ورقة مطوية داخل الزهور، ووجدت تلك الكلمات.

«هذا لا يكلف سوى مجهود فقط!» وبلا توقيع!!

www.liilas.com

«كاترينا!»

لم تسمعها، فتحت باب غرفتها وجدتها نائمة «ماذا تريدين؟» «حان وقت الإستيقاظ»

«من هم هؤلاء الأطفال الذين أحضروا الورود؟»

أخفت كاترينا وجهها فى الوسادة «إذهبى إلى سريرك، لم يحن وقت الإستيقاظ بعد!»

«بل حان، هيا يا كاترينا، لاتتظاهرى أنك لاتعرفين شيئاً! أنت قلت له ما فعلته بالورود الأخرى، أليس كذلك؟»

«إم م، أخرجى»

«وعندما تناولت معه الغذاء، أخبرته بما قلته، وكل ذلك لتشعلى الغيرة داخلى، وتلعبين معه وتتصبون فخاً لى! من هم هؤلاء الأطفال»

فتحت كاترينا عيونها «فجأة تغيرت تماماً! أيمكن أن تكونى قد فهمت أخيراً»

«لم تقولى لى بعد من هم؟ سأحضر لك قهوة مقابل المعلومة!»

«إبن وإبنة أخيه، له أخ يعيش قريباً من هنا، الفتاة أسمها أليس»

ضحكت سوزى، وانشرح قلبها بعد فترة شعرت كأنها دهر من الحزن واليأس «لماذا كل هذا التكتم مادمت ستقولين لى الآن؟»

«لأنك لم تسمعى أبداً، هل سأشرب القهوة؟ سأذهب إلى العمل قبل أن تحضريها!!»

أخذت باقة الزهور إلى المطبخ وتأملتها وهى تعد القهوة، ربما كل ما فكرت به كان خاطئاً.. وليس نات.. رغم أنها

تشعر بالجرح لأنه لم يخبرها بالحقيقة منذ البداية. ربما يجب أن تساعده ربما كانت لعبة ساعده فهد فى إتقانها، ماذا عن فهد؟ هل يعرف كل شىء، من هو نات؟ تفكرت فى حديثها فى المطار، ربما كان يساعدها على تفهم ماستعرفه عن نات؟

لكن لماذا لعب معها تلك اللعبة؟ ربما كان سيقول لها فى تلك الليلة بالعقبة؛ لكن ماذا كان سيحدث؟ كان مستحيلاً أن يقولها.

عندما ذهبت بالقهوة إلى كاترينا بادرتها بقولها «أنا سعيدة لأنك أخيراً استعدت قواك العقلية، كنت بدأت أفقد الأمل، كنت سأمتعه من المجىء، كان يريد تسلق مواسير المياه ويحطم زجاج النافذة لو لم أسلمه المفتاح ليلة الحفلة، ضحكت سوزى «هذا شىء مألوف منه»

«لم تسمعى شيئاً بعد، كان يخطط لإختطافك من العمل، ويدفع رشوة لمديرك ليرسلك إلى مكتبه، ولذا أنا سعيدة لأنك فهمت أخيراً، لكن فات الأوان»،

تجمد قلبها «ماذا تقصدين؟»

«هو ذاهب إلى أمريكا على الأقل لثلاثة أسابيع، لا أدرى أين هو الآن، أو ماذا يفعل، لكنه يأس من الأمر كله، فى آخر مرة قابلته»

أظلمت الدنيا فى عينيها، بمجرد أن تجده تفقده!! لن تلوم إلا نفسها لم تعطه فرصة ليشرح لها، أن تستمع له، تقابله، فكرت فيه الآن، ليس كما فكرت فى تلك الحفلة المأساوية!! لكن كما كان معها فى الأردن، جالس مع البدو حول النار، يتسلق الصخور، يقول لها «هل تعرفين ماذا كنت أتمنى وأنا صغير؟»

www.liilas.com

عجزت عن دمج الصورتين معاً، رجل الأعمال الناجح، وذلك الرجل المدهش الذى أوقعها فى حبائل حبه، الذى يرتدى الغطره العربية والجينز الأمريكى !!

فى العمل قررت إرسال رسالة له قبل سفره، إن لم يكن قد سافر تمنت أن يتصل بها، لكن أوشك اليوم على الإنتهاء ولم يتصل، مؤكد هو يعرف أين تعمل ! كان على إتصال دائم بكاترينا منذ ليلة الحفلة، فى النهاية، ركبت قطار كمبردج لتسافر إلى العائلة، وجدت أختها على وشك النوم، قفزت لتتعلق بها عندها لمحتها عند الباب «مرحبا سوزى ـ ووزى !! توسلت ان تنس إحضار هدية لى من الأردن ! »

ضحكت سوزى «لم أنسى ! » تعلقت بها «أبى قال أنك ستأخذينى معك إلى كمبردج غداً، ونتناول الغذاء هناك ونعود للمنزل فى أتوبيس »

«آه ستذهب فعلا ؟ ومن يدفع ثمن الغذاء ؟ أنت على ما أظن ؟ »

كم إفتقدت أختها، فهى تحبها جداً.

فى الصباح قاد الوالد السيارة بهم، وإرتدت جودى العقد الفضى العربى الذى أهدته لها سوزى، وأوصلهم إلى شارع جانبى وسط المدينة ليلحقوا بأتوبيس الساعة الخامسة، وناول جودى نقوداً «لا تنفقيها كلها فى مكان واحد حتى لا يتشكك الناس » كعادته أطلق الوالد النكتة القديمة التى كان يقولها لها، إبتسمت سوزى وقبلته بحنان «شكراً يا أبى، أيعنى هذا إن أمسكوا بجودى عند باب المحل، ستدفع الفاتورة لتطلق سراحنا ؟ »

«هيا، سأدفع لجراج السيارة وأجىء فى دقيقة !! » .

تناولوا القهوة فى مطعم، والغذاء فى آخر، والشاى فى محل فى تمام الرابعة، ثم شعرت سوزى بالتعب «أشعر بمتعة كبيرة معك أمى تريد شراء الطعام فقط !! »

فكرت سوزى متعاطفة مع زوجة أبيها، وذهابها للتسوق وحدها لشراء حاجيات أسبوع بأكمله، والآن تأملت سوزى كعكة أمامها لتشترها لتسعد جودى.

وإسترجعت صورة نات، كان يجب أن تتصل به، لكن فات الأوان وهى تتشوق لرؤيته الآن، قطع صوت جودى أفكارها «الكعكة ليس بها مربى كافية لا أريدها »

«تناولى كعكتى »

«لا أحب هذا النوع »

«حاولى يا جودى، إتركيها إن لم تعجبك، نظفى المائدة أمامك لن يجلس أحد هنا ثانية !! »

سمعت صوتا يجيبها لم تتوقعه، وتجمد قلبها «آه نعم، فى الواقع، هناك شخص يريد أن يجلس الآن ! » غاصت عيناها تحيرت إن كانت فى حلم أم يقظة «هيا يا جودى، تحركى أختك غير منتبهة لسلوكها ».

رأته مرتديا الجينز واقفا بجوار المائدة وحدقت جودى فيه «كيف عرفت إسمى ؟ »

«سمعت كثيراً عنك خصوصاً أنك تحبين الكعك »

«آه، هذا شىء قديم »

«نات ! » لم تصدق نفسها سألته جودى «هل سوزى تعرفك ؟ »

«حسنا، أنا أعرفها لكن لست واثقا إن كانت تعرفنى »

«آه » وتحركت جودى من مقعدها لتجلس بجوار أختها،

www.liilas.com

وتناولت كعكتها وكوب اللبن معها، وجلس نات فى مواجهة سوزى.

سألته جودى «ما إسمك؟»

«فعليا، لى ثلاثة أسماء، والذى أفضله اسم أحد»

«ما هى بقية الأسماء؟»

«معظمهم يناديني بـنات، سوزى تنادينى نات»

«إسم غبى، يشبه إسم طائر ما الاسم الآخر؟»

«إسمى الحقيقى ناثان لبارد وأدير شركة كبيرة تصنع الكمبيوتر بدأتها وعمرى تسع سنوات، أحيانا أقوم بعمل المهندسين، واستمتع به، لاأدرى كم أكسب فى العام»

«هل أنت صديق سوزى؟»

أنا أكبر من أن أكون صبى، قبل أن تسألى، عمرى واحد وثلاثين عاماً، ومحترم»

«أووه، أنت عجوز!!»

«جودى! هذه وقاحة، كان صوت سوزى غاضبا»

إلتفت إلى جودى «هل تساعدينني فى إنفاق ملايينى وشراء كعكة لك؟ وأقول لك المزيد عن تاريخ حياتى»

«هل أنت مليونير حقيقى؟»

«نعم، ثرى ثراء فاحش، الآن إذهبى لإحضار الكعكة قبل أن أغير رأيى، هل تأخذى ٣٥ بنسا أم أكثر؟»

وقفت جودى «سأنتظر فى طابور والكعكة ثمنها ٤٥ بنسا»

«أراك مهتمة بحقائق المال أكثر من أختك، تعالى لتعملى معى»

قالت سوزى «أنا آسفة هى وقحة معك... مدللة جداً».

«أحب الأطفال، وأعتاد ذلك من سيمون الذى قابلك هو

أسوأ من جودى بطريقته الخاصة، جودى لطيفة جداً»

تسارعت خفقات قلبها، وأطبق الصمت؛ وشعرت بالوجوم يعتريها منذ لحظة كانت تطاردها صورته كحلم والآن يجلس بنفسه أمامها!!

«أنظرى لى»

شعرت بجفاف حلقها، ورفعت عينيها، هل هو غاضب منها؟

«لم ترحبى بى؟»

كان ينظر إليها، ورأت أنه نات وليس الرجل الذى قابلته فى لندن، وسألته «كيف.. لماذا أنت هنا؟»

«لأراك، جربت كل الطرق»

«كنت أظنك سافرت أمريكا.. كيف عرفت أننى هنا؟»

«زوجة أبيك أخبرتنى، قالت أنك معتادة على هذا المكان؟»

«زوجة أبى؟»

«لا تخافى هكذا! لم تخبرنى بأى شىء عنك سوى أنك رائعة فى كل شىء ما عدا العناد عندما تستحوذ عليك فكرة ما، كاترينا أعطتنى العنوان عندما عرفت بسفرك، كنت أتمنى أن تبقيك الورود فى لندن، أظن أنها ذهبت كمثيلتها السابقات؟»

«لو تحدثت مع كاترينا لعرفت العكس»

«عندما سألتها لم تجدها لذا إفترضنا الأسوأ، إن لم تلقى فى المهملات إذن أنت غفرت لى لعدم إتصال بك من دبى؟!!»

«نات، ليست مسألة الإتصال التليفونى!! واثقة من

www.liilas.com

مبرراتك القوية فى البداية، عموماً...» تلعثمت لا تدرى ماذا تقول، وأسند ذراعه على المائدة.

«كاترينا أخبرتنى أنك تعتبرينى مثل شخصية جايكل وهايد، خصوصا هايد، أصحيح؟»

«أنا... لا أدرى ما تقصده»

«أظنك تفهمين، أنا رجل سىء لأننى عندما قابلتك فى الأردن كنت مهندس بلا مال، والآن تقابلننى فى لندن لتكتشفين مدى فحش ثرائى، وامتلاكى شركة تظاهرت بأننى أعمل لديها ظننت أننى ضللتك وتظاهرت بخادعا لإصطيادك لأتسلى بك عدة أيام أليس كذلك؟»

ظلت صامتة.. إستطرد هو «لم أكذب عليك يا سوزى، أعرف ما فعلته وقلت أننى ضللتك، مجرد لعبة لم أقصد بها شيئاً معك فى البداية، بعد فترة أصبحت.. حسنا... من المهم الإحتفاظ بك»

«نات لو... لو كنت مهتما بشخص تقول له الحقيقة، لم يكن بيننا أى صدق!»

شعرت بالدموع تنهمر فوق خدودها، تناولت منديلها.

«آه يا إلهى، لن تتحدث هنا»

«يجب أن أوصل جودى للمنزل ستركب أتوبيس الخامسة»

«لن تركبوا اتوبيس، ستركبون معى قلت لوالدك أننى سأحضركم، سيارتى فى الجراج المركزى»

«آه، لكن...»

«لا داعى لكن؛ معى تصريح رسمى من العائلة ودعوة على العشاء، وأمامى ستة وثلاثين ساعة حتى تفهمى»

«ماذا تعنى؟»

«سأسافر لأمريكا صباح الإثنين أظن كاترينا أخبرتك»

متضايقا «سوزى، ليس هذا مكانا للحديث ونحن لم نبدأ بعد.. أريد مقابلة أبويك، بحثاً عنك، وتحدثت معهم طويلا، وافقوا على السماح لك بالذهاب معى بقية العطلة»

«ماذا تعنى؟»

«سأذهب بك إلى شاليه أقيم به فى وقت الفراغ من العمل، يمكنك أن ترفضى، لكن من فضلك يا سوزى وافقى على المجىء معى، يجب أن أتحدث معك»

حدقت وهى وسط عاصفة من عواصف متلاطمة تزأر داخلها عاجزة عن الحديث.

رأت فى عينيه التعاسة وصدمت لذلك، وقالت له.

«نعم».

www.liilas.com

الفصل الحادى عشر

حلم الواقع

فى الطريق إلى شاليه نات إستغرقت الرحلة ثلاث ساعات، ورغم أنهما غادرا الأسرة بعد العشاء مباشرة، إلا أن الشبورة الصيفية لم تغطى الأرض، كان نات مرحا معها، لكنها لاحظت أن الاجهاد باديا على ملامحه «هل أنت متعب؟»

«يجب أن أقوم بعدة إتصالات تليفونية ولم أنم ليلة أمس»

تحدث معها عن عمله فى الشركة ومسئولياته وكيف بدأ بكونها بمفرده دون ثروة دون شهرة حتى نجح، وإحساسه بالمسئولية عن أصحاب الأستثمارات والشركاء والموظفين. سألته «لماذا لم تتصل بى؟» «نسيت الورقة التى بها رقم تليفونك فى حقيبتى المرسلة على طائرتك، ولم أستطع إستعادة الحقيبة، حاولت الإتصال بك من خلال المكتب فى لندن لكنهم أخبرونى إن اسمك ليس فى الدليل»

«لا، الرقم بإسم كاترينا»

«أحد موظفى الشركة استعاد الحقيبة من المطار، وسلمها لشقتى، بعد يومين إتصلت بالمكتب فى لندن وطلبت ذهاب أحدهم إلى الشقة وبحثوا عن الرقم لم يجده، وظننت أننى

فقدته، وفضلت الإنتظار لحين العودة إلى لندن والإتصال بكل مكاتب الألة الكاتبة للبحث عن فتاة جميلة شعرها بنى، عيونها زرقاء إسمها سوزان ماكلارن، عندما رأيتك فى الحفلة، كنت حاولت الإتصال بك فى الشقة بعد مجيء مباشرة من الإمارات ولم يكن أمامى سوى أخذ حمام سريع وتقليب الحقيبة بحثا عن الرقم، وجئت متاخراً»

«أسفة لتسرعى فى الحكم عليك هكذا... كانت مجرد...»

«وهو كذلك، أفهم كل ما شعرت به، أنا نفسى كنت متدهشا مما فعلت، كنت أفكر دائما فيك وفى طريقى إلى شقتك بعد الحفلة تذكرت أن رحيلى المفاجيء فى مطار عمان ربما دفعك لتأويل الأمر كله بطريقة خطأ»

«لم يكن معك حتى ملابسك!» سمعته يضحك «فى الحقيقة لى شقة فى واشنطن بها دولاب ملىء بالملابس البسها فقط عندما أريد إبهار أحد، مجرد رمز لثروتى الرأسمالية، لكن الشركة تمتلك الشقة» ضايقها سوء تفسيره لأرائها «يبدو أنك تعتبرنى شيوعية!»

«أحيانا تمنيت إن كنت تنظرى لى كرأسمالى مستغل، مصاص دم للفقراء، بأموالى أحصل على كل مافى الحياة»

«لم أقل هذا أبداً»

«ربما تفكرين هكذا» رد فعلك فى الحفلة كان يقول هذا»

«ليس هكذا بانات! فقط عندما شاهدتك مع هؤلاء الناس بدا وكأنك أخفيت عنى الحقيقة ولم أتحمل»

«أسف، أنا مرهق لاأستطيع التحدث معك كما أريد،

منتديات لياس التقافية
www.lilas.com

وأركز فى قيادة السيارة فى نفس الوقت، الأفضل الإنتظار حتى الشاليه »

تذكرت حديثها مع زوجة أبيها منذ ساعات، تعلمت منها درساً هاما لعلاقتها مع نات، لكنه ليست واثقة من إقتناصى الفرصة لتطبيقه ومازال هناك شىء تريد أن تعرفه منه.

تذكرت ماقالته لويزا «نات لطيف جدا ياسوزى، أليس هو سبب تعاستك مؤخرا؟ أتريدين الحديث عنه؟»

«لست واثقة، ماما لست أعرف بشرف أننى سيجىء هنا، الأمور كانت... صعبة بيننا»

إبتسمت زوجه أبيها «أعرف لقد أخبرنا، عرفت أنك صمت عندما لم تجدى أنه ليس شخصيا معدما الذى تمنيت أن تتزوجيه دائما»

«هو قال ذلك؟»

«ليس بكلمات صريحة، لكن أعرفك ياعزيزتى، أخن ماحدث بينكما، لكن بقدر إعجابى بزهدك وقناعتك لكن أعتقد أنك كمن لايرى الخشب لأنه لايرى الأشجار، كما يقول المثل»

«وماذا تعنين»

«تركت أفكار مشوشة ومثل وقيم غير واضحة تعترض مشاعرك الحقيقية لو كنت تحبينه، ياسوزى، وتريدين الزواج منه، لاتجعلى تلك الأفكار تعوق طريق حياتك الواقعية»

«لست واثقة من مشاعرى، ولم يقل لى أبدا أنه يحبنى أو يريد الزواج منى»

«لماذا لاتتيح له فرصة الحديث معك، لتكتشفى بنفسك»

إلتفتت لتواجه زوجة أبيها بمظهرها الشاب وشعرها الأسود

ومجرد شعيرات بيضاء تتخلله، وعيونها البنية مثل جودى، «ألا يهمك رغبته فى رحيلى معه الليلة هكذا؟»

«أنت ناضجة ويمكنك التفكير بنفسك ولن أمنعك، وساكون سعيدة وأحد الله عندما أجد رجلا مثله لطيفا يظهر فى حياتك، لكن لو كنت غير واثقة منه ياعزيزتى، لن تتيحى له فرصة إستدراجك، نحن مهمومين بشأنك»

لم تكن سوزى واثقة، لكن فى الست والثلاثين ساعة القادمة، سيرحل عبر المحيط ولورفضته ربما لن تراه مرة أخرى، أطبق الصمت بينهما ثم تحدثت لويزا «أنت صغيرة كى تتورطى فى علاقة مع أى شخص ياسوزى، إن لم تثقى به ولم تغيرى رأيك عنه، لاتظنى أن الأمور لايمكن إصلاحها مهما حدث»

تعرف ماتقصده، دائما كانت زوجة أبيها تجد معنى للحب

ــ حب غير أنانى، غير مشروط..

قطع صوته حبل أفكارها «هل تحبين سماع الموسيقى أم ستنامين؟»

«هل تريدين أن أحافظ على يقظتك؟»

«هناك بعض الشرائط أمامك أنها تخص أخى الأصغر، أسمع دائما موسيقى البوب»

وأضاف «فعليا فى عمرى أفضل سماع كونشيرتات البيانو من تأليف رحمانوف، هى بحاجة لحماسة موسيقية»

وصلوا الشاليه، فتح الباب، دخلت لتجد نفسها فى غرفة سقفها خشبى، بها أريكتين مغطاة بسجاجيد ملونة، ودولاب كتب ضخم، ومائدتين خشبيتين، سألها «أجائعة؟»

هزت رأسها، «إذن سأعد القهوة، يجب أن تتحدث، لواردت أحلى حقيبتك للطابق العلوى، غرفة النوم فى أقصى

doode al 7aloo

اليسار، والحمام بجوارها »

جلست على حافة سريرها تفكر، يجب أن تعرف أولا أفكاره ومشاعره قبل أن تتعهد أمامه بأى شىء، لكنها تخشى من مواجهته الآن،

فى النهاية هبطت السلم، لتجده جالسا على قدميه أمام المدفأه بيده فطعه خشب « القهوة فى المطبخ »

عادت بالفناجين والقهوة، لتجده مستلقيا على الأريكة، مغمض العينين « نات، تبدو مرهقا جدا، الأفضل أن تنام، وتتحدث فى الصباح »

فتح عينيه « لا، يجب أن نسوى ماحدث بيننا من خطأ، وأنتظر مكالمة تليفونية بشأن سفرى » وهى تصب القهوة « أخبرينى ياسوزى ماذا تعتقدين الآن، لايهمنى سوى الحقيقة »

« لست أنا التى يجب أن تقول الحقيقة يانات، إنه أنت ! »

« يبدو وكأنك تتهمينى بخداعك عمدا »

« لقد فعلتها فعلا .. تعرف كيف أشعر بمسألة المال، وباقى الأمور ولم تخبرنى بحقيقتك .. وبعد أن ... »

« بعد أن، ماذا ؟ وبعد أن ذهبنا للسرير معا ؟ »

« نات من فضلك، دعنى أذهب أنت تجرح مشاعرى ! »

« ياإلهى، لم أقصد ذلك، ربما صديقتك كاترينا مهمومة بالمال لكن على الأقل تفهم حقيقة الحياة ربما أنت جميلة ومقبولة، لكنك سخيفة وساذجة »

« لقد أحضرتك هنا لترى كيف أحب أن أعيش، ليس كمسألة تحدى، أوخدع الاثرياء، يبدو أننا عاجزين عن الحديث بالطريقة التى أريدها، ربما أتحمل خطأ ذلك، جزئيا،

لاأستطيع معرفة كيف أسألك عما أريد معرفته أو أخبارك بما أفكر فيه، مع ذلك أقول لك لست جايكل وهايدى ياسوزى، مهما كانت تخيلاتك يجب أن تنظرى لى كشخص مكتمل وليس إلى جانب واحد يعجبك، لوقررت رؤيتى بعد عودتى سيكون أمر طيبا، يجب أن تتصلى بى فقط ولك الخيار »

خيم الصمت ثقيلا كئيبا، وقطعه بقوله « سوزى ؟ أفهمت ماقلته ؟ » ألست غاضبة منى أنظرى لى »

« لا، لست غاضبة، فقط لم أفهم »

« وعدت والديك لن أحاول الضغط عليك ولن أستخدم اى وسائل دنيئة للتأثير عليك، أنت صغيرة جدا ولك حرية الإختيار، أنت تؤمنين ببعض الأفكار والاحلام وأنا حاولت تغيرها، أنا أسف، ليس من حقى ذلك، ربما لست مستعدة لذلك، لذا لن أدفعك لشىء قد لايسعدك فى النهاية »

« نات، لم أرفض ماتريده ! لست أنت الذى أوضحت لى أن أفكارى ليست عملية، أنها زوجة أبى وكاترينا، وفكرة أننى لن أراك ثانية ساد الصمت ثانية.

« نات »

« ليس لدى ماأقوله لك ياسوزى أنت صغيرة، أشعر بالذنب لكلامى معك هكذا، دائما أريدك أن تختارى بحرية »

قامت واقتربت منه، وطوقت وجهه بيديها « هل كان لى خيار منذ قابلتك، نات، أسفة »

« على ماذا ؟ »

« لأن كل ماحدث بسبب خطأى ولأننى لم أثق بك، لو إستمعت لك أوفهمت ماتقوله، لكن مازالت غبية، لوكنت لاتريدنى، فقط قل أنك لاتحبنى كما أحبك »

www.liilas.com

الأن هى واثقة من نفسها شعرت أنها نضجت فى الساعات الأخيرة الماضية قالت له «أحب مايسعدك، قلت لى فى أول لقاء يجب أن أثق بك لكن الأن يجب أن تثق أنت بى، أنا أعرف ماأريد، ولى رأيى»

وقفت «نات دعنى أذهب»

«ليس الأن، ولا أبداً ياسوزى، أنت كل ماأتمناه الجمال، والوداعة»

«هل تغفر لى غبائى، لا تتصورى كيف كانت مشاعرى يائسة وغاضبة، حتى غيورة من كاترينا»

«ماذا عن النقاط الأربعة؟»

«ماذا؟»

«الأطفال ألايمكن أن يكونوا ثلاثة فقط؟»

ضحكت، واستطرد «تعرفين، كنت تخجلين عندما أقول ذلك!!»

وشملها ضوء السعادة الحقيقية لإنتصارها على ذاتها، ولفوزها بمن تحب، وشعرت بسعادته لنجاحه فى جعلها تتسامح مع الحياة، وتفهم أن المال ليس دائما شرا فى ذاته، وأن الحب أيضا يعيش فى الواقع أو أن الحلم إبن الواقع!!

منتديات ليلاس الثقافية
www.liilas.com